

ديوان الأمراء والفرسان

من أبناء قبيلة يام

ثامر بن خالد آل سالم

الجزء الأول

ديوان الأمراء والفرسان

من أبناء قبيلة يام

جمع وإعداد:
ثامر بن خالد آل سالم


بسم الله الرحمن الرحيم

النسخة الأولى
١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا طه الأمين، خاتم الأنبياء والمرسلين، وشفيع أمّته يوم الدين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الغر الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإني أقدم لكم هذا العمل المتواضع الجامع لأشعار أعلام قبيلة يام الهمدانية عبر التاريخ وبصورة مختصرة ويسيرة مع إضافة بعض التعقيبات في المواضع التي تطلّبت التعقيب والشرح والتفصيل، وقد اشتملَ هذا المؤلَّف على ثلاثة أقسام قمتُ بوضعها في جزئين، فكان ترتيبها كالآتي، في الجزء الأول:

- القسم الأول: شعراء قبيلة يام في الجاهلية وصدر الإسلام.
- القسم الثاني: شعراء قبيلة يام في العصور الإسلامية الوسطى (عصر الأمراء).

أما الجزء الثاني فسيكون عبارة عن قسم واحد، وهو مكمّل للقسمين السابقين وسيتم إنجازه إن شاء الله لاحقًا:

- القسم الثالث: شعراء قبيلة يام في العصر الحديث.

وقد قمتُ بهذا العمل جمعًا للإرث التاريخي الأدبي لقبيلة يام عبر العصور، وقد سبقَ الأقسام الثلاثة نبذة عن القبيلة ونسبها وتفرعاتها بصورة موجزة، إذ كان لا بد من إيراد هذه النبذة النَسَبية التاريخية ليكون هذا العمل أكمل وأشمل ولو تخلله النقص والخطأ، وهذا أمر وارد حيث أن هذا العمل ليس إلا نتيجة مجهود فردي وعمل متواصل لا أطلب عليه شيئًا إلا توفيقًا من الله وتيسيرًا منه، ورغبةً مني لإبراز صورة شاملة وجامعة للإرث الذي خلّفه أسلافنا.. وأحمدالله رب العالمين وأستغفره وأتوب إليه..

-المؤلف

قبيلة يام

قبيلة يام هي إحدى قبائل همدان القحطانية واسعة الانتشار في شبه جزيرة العرب، وتنتسب إلى يام بن أصبى بن دافع بن مالك بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان[١].

وتعدُّ قبيلة يام حاليًّا من أكبر قبائل شبه الجزيرة العربية وأكثرها انتشارًا، تتواجد في المملكة العربية السعودية في نجران، وفي جنوب نجد والربع الخالي وفي المنطقة الشرقية في الأحساء وماجاورها من الهجر والوديان وفي دول الكويت وقطر والإمارات، وكذلك في دولة اليمن في بيحان وشبوة وحراز، كما تنتسب بعض الأسر في مدينة صنعاء وبعض المدن اليمنية الأخرى إلى قبيلة يام الهمدانية، وقد كان لقبيلة يام تواجد تاريخي أيضًا في إقليم عربستان "الأحواز" في إيران بل قامت هناك إمارات عربية يامية مثل إمارة المرازيق وبني بشر وبني علي.

---

[١] انظر جمهرة النسب لابن الكلبي تـ٢٠٤هـ ، الإكليل للهمداني تـ٣٣٩هـ الجزء العاشر

ومعظم فروع القبيلة تقطن نجران وماجاورها، وهناك فروع أخرى هاجرت من نجران وتحركت شمالًا إلى نجد والأحساء والخليج وتوسعت في تلك الديار على مدار السنين.

يقول المؤرخ محمد بن طعيمان:(تعد قبائل يام من أكبر قبائل الجزيرة العربية المعاصرة ومن أكبر القبائل الهمدانية إن لم تكن أكبرها، وتعود في أصلها ونسبها إلى قبائل حاشد من قبائل همدان بن مالك بن زيد بن كهلان من قبائل كهلان بن سبأ بن يشجب.

وكان أول ظهور لقبائل يام على مسرح الأحداث بعد تفرق القبائل العربية اليمانية من بلاد سبأ "مارب بمشرق اليمن"، المهد الأول لها كان في جبال يام وماجاورها شرق وغرب والتي لا زالت تحمل اسمها إلى العهد الحالي والتي تقع بين مجزر بمحافظة مارب "بلاد قبيلة الجدعان" وبين مسورة "بلاد قبيلة مرهبة" والتي تقسمها عن طريق الفرضة إلى قسمين)[١].

[١] مقال عن قبيلة يام للمؤرخ محمد بن طعيمان.

نسب قبيلة يام

قال أبي محمد الحسن بن يعقوب الهمداني المتوفي سنة ٣٣٩هـ، في كتابه (الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير): " بنو دافع بن مالك بن جشم بن حاشد: وولد دافع بن مالك ناشحًا الأوسط وسعدًا **وأصبى**..." ثم قال: " وأولد أصبى بن دافع **يامًا** والحارث و عينيلا (بطنًا) دخل في عنس" ثم قال: "فأولد يام بن أصبى جشم و مذكرًا فولد جشم دوءلًا (دؤول) وصعبًا، فولد دوؤل سلمة فولد سلمة ذهلًا والنمر وسلمة بن سلمة، فمن بني سلمة عبدالرحمن بن الحارث بن عبدالكريم بن جخدب بن ذهل بن الحارث بن ذهل، كان من فرسان الجماجم، وزبيد بن الحارث بن عبدالكريم و طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب بن جخدب بن معاوية بن معاوية بن سعد بن الحارث بن ذهل الفقيه وكان من أئمة القرّاء." ثم قال: " وأولد مذكر: هبرة ومواجد وهم الأحلاف وألغز فتحالفا على ألغز، فولد مواجد الأسلوم وبغيضة وجحدبًا ورفده، منهم عبيدة بن الأجدع من بني سلمان بن حبيب بن مواجد،

وحبيب بن مواجد ممن شهد حرب خولان والوازع بن معاوية بن مالك بن أحزم بن هبرة بن مذكر بن يام".

ويقول أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب، ابن الكلبي المتوفي سنة٢٠٤هـ في كتابه(نسب معد واليمن الكبير):" فولد همدان نوفًا وولد نوف خيران وولد خيران جشم فولد جشم **حاشد** وبكيل" ثم قال:" وولد حاشد جشم وزيدًا وعَمرًا و عربيًّا وأسعد ومالك ومرتد وضمام ويريم" ثم قال: " وولد مالك بن جشم **دافعًا** وزيداً..." ثم قال: "وولد دافع بن مالك بن جشم: ناشجاً وسعداً وأصبى" ثم قال:" وولد أصبى يام و وعبيلا... فولد يام جشم فولد جشم دؤول فولد دؤول سلمة..." ثم "وولد مذكر بن يام هبرة ومواجد وهم الأحلاف وألغز؛ فتحالفا عليه...".

ويتم الخلط أحيانًا بين قبيلة يام الهمدانية وقبيلة يام العنسية المذحجية وهذا خطأ وقع فيه الكثير، ولبَّس به الكاذبين الحق بالباطل؛ طعنًا في نسب يام وقبيلة يام العنسية هي رهط الصحابي الجليل عمّار بن ياسر اليامي رضوان الله عليه، وذكَرت بعض كتب النسب أن قبيلة يام العنسية هي في الأصل نزيعة أو ناقلة عن يام الهمدانية؛ حيث ذكر الهمداني هذا في كتابه (الإكليل)، قال: "وفي عنس

بن مذحج يام، ويقال هي ناقلة عن يام همدان"[1] والله سبحانه وتعالى أعلم.

وتنقسم يام إلى فرعين رئيسين هُما: قبائل مذكر بن يام، وقبائل جشم بن يام، وينقسم الفرعين إلى ثلاثة رايات، من مذكر: راية آل فاطمة وراية مواجد، وجشم لها راية واحدة وهي راية جشم.

آل فاطمة:

قبائل آل فاطمة هي قبائل هبرة بن مذكر وألغز بن مذكر، وهما أخويّ مواجد بن مذكر ولكنهما يجتمعان في فاطمة التي قيل أنها أم ألغز وهبرة وقيل غير ذلك والله أعلم.

١- هبرة بن مذكر: تنقسم إلى عنيم "العنمات" ومنصور بن واصل.

قبائل العنمات هم:

آل القفيلي: آل بشر، آل فاضل، القشانين.

آل خرّيت: آل ربوع، آل سويد.

[1] الإكليل، الهمداني (١٠/٣٣٣).

الأفراد: الشرمان، المكاييل.

آل زمانان، وفي الأصل من آل هتلان العجمان وسيأتي ذكرهم.

أما قبائل منصور بن واصل فهُم:

آل موسى: آل زعزوع (آل سليم، المحامض)، آل حميّر(آل سالم، آل شرية، آل منجم، آل مسعد).

آل يحمُد "اليحامدة": آل مطير، آل قايد، الزبادين، آل ذيبان، آل حمامة.

لتفصيل أدق انظر المؤلَّف السابق "أنساب قبيلة يام".

٢- ألغز بن مذكر: تنقسم قبائل ألغز بن مذكر إلى هشام، وزايد.

قبائل هشام الغزّي[١]:

أ- عجيم بن هشام "العجمان".

ب- وعيل بن هشام "الوعلة".

---

[١] هشام الغزي: أحد ملوك بني حاتم، وهو هشام بن القبيب بن الربيع بن الفضل بن علي بن أبي زيد بن المعمر بن الصعب بن الفضل بن عبدالله بن سعيد بن الغوث بن ألغز بن مذكر بن يام، سيأتي الحديث عنه لاحقًا في هذا الكتاب.

العجمان:

وتعد قبيلة العجمان من أكبر فروع قبيلة يام، وقد تحركت من نجران شمالًا إلى وسط وشرق الجزيرة العربية، ويقول حمد الجاسر رحمه الله: (واحدهم عجمي، قبيلة كانت بلادها قديمًا جنوب الجزيرة، في منطقة نجران، وهي من قبيلة يام التي لا تزال مستقرة هناك)[١].

وفروع العجمان هي: أولاد مرزوق "المرازيق"، آل فويه، آل وبير، آل جذيم[٢].

المرازيق:

آل حدجة: آل صليبي(آل خويطر، آل محفوظ) وآل نشوان بن حدجة (آل هتلان، آل مساوى).

آل هتلان: آل زمانان – ومنهم فروع استقرت في نجران وهي في عداد هبرة- وآل شرية وآل خرصان وآل سعداء وآل معتق وآل دهمش.

---

[١] العجمان وزعيمهم راكان بن حثلين ١٩٩٦، أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري صـ٣٣.

[٢] شجرة قبائل يام، مهدي بن مسفر بن مشني آل مطلق

آل مساوى بن نشوان: آل سليمان وآل علي بن مساوى.[1]

وآل مسعود من المرازيق: آل ضاعن، آل شامر، آل مصرا.

الوعلة:

قبيلة الوعلة، بنو وعيل بن هشام ثلاثة فروع وهم آل سليمان "وفيهم آل العرجاء وآل الهرش"، وآل حمد بن فاضل "وفيهم آل غيدان وآل عمر وآل دغيش"، وآل معمر.

وآل الهرش من آل سليمان بن وعيل يشمل قبيلة آل درهم وآل محمد بن رشيد وفي درهم آل مطلق وآل فطيح وآل رشيد وآل سفران، أما في محمد بن رشيد فقبيلة آل سالم الوعلة وآل فروان وآل لبيد وآل عوض.

مواجد بن مذكر:

وقبائل مواجد بن مذكر فرعان هما: الأسلوم وآل لحسن، والاسلوم هم الشطرة وبني هميم، وآل لحسن هم آل الحارث بن لحسن وآل مهري وآل رزق وآل أبا الطحين.

[1] تتفرع وتتفصل قبائل آل مساوى إلى فروع كثيرة، للتفصيل انظر أنساب قبيلة يام للمؤلف.

الشطرة من الاسلوم: آل قوداء(الخضرة، آل مفلح) وآل عيسى(آل عامر، آل قريع).

جشم بن يام:

وهم فرعان: بني ذهل وبني سلمان.

بني ذهل: آل عامر بن ذهل وآل الهندي، وفي عامر بن ذهل: قبيلة الصقور وقبيلة زبيد، وفي قبيلة آل الهندي آل دهمش آل الهندي، وهل خميس آل الهندي وآل منصور، وفي دهمش آل سليمان وآل حسن، وهل خميس آل مقاتل وآل جبير وآل أبوزبدة والربعه، ومن قبيلة آل سليمان بن دهمش تتفرع قبائل آل كليب وآل مطارد -ويقال لهم العضوض- ويجتمعون مع آل سنان وآل حطاب في شغدر بن سليمان، وقبائل آل خمسان وآل مطيف وآل قراد يجتمعون في بدر بن سليمان، وآل جواد وآل رغيب أيضًا من آل سليمان بن دهمش، أما آل حسن بن دهمش فهم آل قريشة وآل حوكاش وآل همام وآل جماهر وآل هاشل وآل دويس.

بني سلمان: هم ثلاثة فروع، وهم بني مرة وبني علي وبني عمرو.

بني مرة (آل مرة): واحدهم مرّي، وهم من الفروع الكبرى لقبيلة يام، وينقسمون إلى بني شبيب وبني علي، وبني شبيب هم آل سعيد وآل زبدان والغفران، وبني علي هم الجرابعة والغياثين.

بني عمرو من بني سلمان: هم آل عبدالله وآل محمد وفي عبدالله آل هتيلة وآل مستنير ويجتمعان في قيس قبل عبدالله، وآل سوار، وفي محمد آل طوق وآل سدران.

كانت هذه صورة مبسطة وموجزة عن أنساب قبيلة يام وفروعها، وقد سبق التفصيل والتدقيق في المُصنَّف السابق (أنساب قبيلة يام).

القسم الأول:

الجاهلية وصدر الإسلام

١ -الأسلوم اليامي[1]

وهو الأسلوم بن مواجد بن مذكر بن يام، وهو الذي حرّم على نفسه الخمر والزنا في الجاهلية وقال:

(الكامل)

سالمتُ قوميَ بعدَ طولِ مظاظةٍ [2] والسِّلمُ أبقى في الأمورِ وأعـرَفُ

وتركـتُ شُـربَ الـرَّاحِ وهيَ أثيرةٌ والمومساتِ وتركُ ذلكَ أشـــرفُ

وعففـتُ عـنها يا أُميـمُ تكرُّمًـا وكذاكَ يفعلُ ذو الحِجى[3] المتعفِّفُ

---

[1] ذكره ابن حبيب في باب (من حرم في الجاهلية الخمر والسكر والأزلام على نفسه)، (المحبر ص ٢٣٧، ٢٤٠)
[2] المظاظة: المخاصمة.
[3] الحجى: العقل.

٢-مدرك بن عبد العزى بن نمر اليامي[1]

شاعرٌ جاهلي ووالده أيضًا كان شاعرًا وهو عبد العزى بن نمر بن ذهل بن سلمة بن دؤول بن جشم بن يام، إلا أن كتب التاريخ لم تحفظ من أشعار والده، ونقلت بعضًا من شعر مدرك، فمن شعره في الفخر قوله: (الطويل)

أنَّى لكُم أنْ تَبْلُغُوا مَجدَ يأمُنا ... وأرْحَبَ حتَّى يَنْفُذَ الترب ناقلهُ
فهُم أصلُ همدانَ الوثيقِ وفرعُها ... قديمًا وأعلى هَضبِها وأطاولهُ

وقال[2]: (البسيط)

ومجلسٍ مقصرٍ والنفسُ تكرَهُهُ ... حُبستُ فيهِ لأعداءٍ أجاثيها
آبى وآنفُ عن أشياءَ يأخُذها ... رثُّ القوى وضعيفُ القومِ يُعطيها
ومرتدٍ لي بالبغضاءِ مؤتزرٌ ... أنزلتُ من حَزْنةٍ صعبٍ مراقيها
لم أدرِ سورتهُ إلا مصافحةً ... إني أخو الحربِ إن جارت أُجاريها

وقال: (الوافر)

يكرُّ على المُضافِ إذا تعادَى ... من الأهوالِ شُجعانُ الرجالِ

---

[1] الإكليل، الهمداني تـ٣٣٩ الجزء١٠، ص٦٩

[2] وهذه الأبيات والتي تليها، ذكرها البحتري باسم مدرك بن عمرو، والأصوب أنه مدرك بن عبدالعزى، المذكور في الاشتقاق والإكليل، وهذا ما رجَّحه أيضا صاحب (شعر همدان)، د. حسن أبوياسين.

٣- سمير الفرسان اليامي[١]

سمير الفرسان وهو مختلس حباشة عمرو بن معديكرب، وذلك أن عمرو بن معديكرب لما غزا خولان فدخل الحقل وفض الحصن، وغنم جل الأموال واجتاح الضنين وقدم بتلك الغنائم مع عميه سعد وشهاب، فعارضهما سمير في جمع من يام فقتلهما وعدَّةً معهم من بني زبيد من مذحج، وأخذ ماكان في أيديهم، فبعث عمرو بن معديكرب إلى سمير الفرسان يتوعده، فقال سمير في ذلك: (الطويل)

أيرسل عمرٌو بالوعيد سفاهةً ... إليَّ بظهرِ الغيبِ قولًا مرجَّما

ليُسمعَ أقوامًا بما ليسَ مُقدِمًا ... عليهِ، وقد رامَ اللقاءُ فأحجما

فإن شِئتَ أن تلقى سميرًا فلاقِهِ ... وعجِّل ولا تجعَلْهُ منكَ تهمُّما

فسوفَ تُلاقيهِ كَميًّا مُدجَّجًا ... حميًّا إذا ماهمَّ بالأمرِ صمَّما

فإن تلقَنِي أصيحكَ موتًا معجَّلًا ... كفعلي بعمَّيْكَ اللَّذَيْنِ تقدَّما

فسوفَ أريكَ الموتَ ياعمرو جهرةً ... فتنظُرَ يومًا ذا صواعِق مُظلِما

[١] الإكليل (١٠/٧٢).

٤-٥-عاجبة بن حاتم بن عميرة وأخوه الحسل بن حاتم

بعث حاتم بن عميرة اليامي الهمداني ابنيه، الحسل وعاجنة -وقيل عاجبة- في تجارة لوجهين مختلفين، فلقي الحسل قوم من بني أسد فأخذوا ماله وأسروه، وسار أخوه أيامًا حتى وقع على مال الحسل، فاتبعه حتى بلغ نجران، فنادى في قومه همدان، فانتشطه من أيدي سالبيه قبل أن يبلغ إلى موضع متجره، وكانت الإبل موسومة بسمة أبيهما، وعرفوا أن ما كان عليها من المتاع له، فأخذه ورجع إلى أهله، وقال في ذلك[١]:

(الوافر)

كفاني الله بُعدَ السيرِ إنِّي	رأيتُ الخيرَ في السفرِ القريبِ
وهذا القربُ نِلنَا منهُ خيرًا	ولم نلقَ الخسارة في الدءوبِ
رأيتُ البُعدَ فيهِ شقاً ونأياً	ووِحشة كل منفردٍ غريبِ
فأسرعتُ الإيابَ بخيرِ حالٍ	إلى حوراء خرعبةٍ لعوبِ
وإني ليسَ يثنيني إذا ما	رحلتُ سُنوحَ شحَّاج نعوبِ

فلما رجع تباشر به أهله، وانتظروا الحسل فلما أبطأ عليهم رابهم أمره، وبعث أبوه أبوه أخًا له يقال له شاكر في طلبه والبحث عنه فلما دنا شاكر من الأرض التي فيها الحسل، وكان الحسل عائفا يزجر الطير، قال الحسل:

(المتقارب)

[١] شعراء همدان وأخبارها في الجاهلية والإسلام، حسن أبو ياسين، ص٢٦٤

تُخبِّرني بالنجاةِ القُطا وقولُ الغُرابِ لها شاهدُ
تقولُ ألا قد دنا نازحٌ فِداءٌ لهُ الطارفُ التالد
أخٌ لم تكُن أمُّنا أمَّهُ ولكن أبونا أبٌ واحدُ
تداركني رأفةً حاتمٌ فنِعمَ المربِّبُ والوالدُ
تداركني بِكَ يا شاكِرٌ ومنَّ بكَ الملِكُ الماجدُ

ثم إن شاكرًا سأل عنه فأخبر بمكانه فاشتراه منهم بأربعين بازلًا فلما رجع به وأخبره بما لقي من البلاء، قال أبوه: (اسعَ بجدّك لا بكدّك)[1].

[1] فضل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد البكري، وهو شرح لكتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام(ص٢٨٧،٢٨٥).

٦-العقَّاربن سليل اليامي

وهو العقَّار بن سليل بن ذهل بن مالك بن الحارث بن ذهل بن سلمة بن دؤول بن جشم بن يام، سُميَّ العقَّار لأنه شهد وقعة كانت لهمدان وبعض أعدائهم، فحلف ألا يقتل في ذلك اليوم أحدًا فجعل كلما لقيَ فارسًا ضربه ضربةً خفيفة، حتى عقر نحوًا من ثلاثين فارسًا فسميَّ في ذلك اليوم العقَّار.

وهو قاتل مشجعة الجعفي، وكان سبب ذلك أن بلاد يام أجدبت فنجع العقار إلى بلاد جعف، وكان بين يام وجعف ولث وصلة[١] فكانت جعف إذا أجدبت رعت بلاد يام، وإذا أجدبت يام رعت بلاد جعف، فلما نزل العقار بلاد جعف حالَ مشجعة الجعفي[٢] بينه وبين الرعي، فقال له العقار: فأين العهد فيما بيننا؟ قال له مشجعة: لجفنةٌ من حيس بارد أحب إليَّ من عهد يام، فقال له العقَّار ألا جعلتُه سخنًا! ثم انطلق إلى امرأة رجل من جعفيّ كانت تبيع الخمر وكان يقال لزوجها كذيبان بن بادية وكان للعقار عندها فرس مرهون على أربعة أبعرة، فضمن أن يبعث إليها بالأبعرة وسألها أن تعطيه الفرس ففعلت، فأخذ الفرس فركبه، وقد كان بعث بماله مع خدمه، ثم أتى مشجعة ومعه حربة فطعنه بها فأخرجها من بين كتفيه فقتله، فتبادرت إليه جعفي فسبقهم[٣]، فقال في ذلك العقار:

(البسيط)

لم يبقَ من خبر الجُعفيِّ باقيةٌ	إلَّا الأمائرُ والأنطاعُ والدُّرُسُ
ردِّي إليَّ جمالَ الحيِّ فاحتملي	فإنَّهُمُ من نفوسِ القومِ قد يئسوا

---

[١] ولث وصلة: عهود ومواثيق.

[٢] وهو مشجعة بن مالك بن كعب بن عوف بن حزيم بن جعفي بن سعد العشيرة من مذحج، فارس قومه وزعيمهم، أورد الهمداني سلسلة نسبه السابقة في الإكليل ص٧٠.

[٣] الإكليل ٧٠/١٠.

لمَّا رأونا نُمشِّي في ديارِهِمُ ... كما تُمشِّي الجمالُ الجِلَّةُ الشُّمُسُ

مِثلَ الليوثِ عَدَت يومًا لِمُعتَرِكٍ ... عندَ اللقاءِ وتقصيدِ القنا خَرِسوا

لا يُسمعُ الصوتُ مِنَّا غيرَ غمغمةٍ ... بالبيضِ نضرِبُ هامًا فوقها القُنُسُ

أما حليلة ذيبانٍ فقد كَرُمَت ... في الفعلِ منها فَلَم تَدْنُس كما دنسوا

جادت بما سُئلت لمَّا رأت جزعي ... من فوقِ أعيطَ في لحظاتهِ شَوَسُ

منحتُ مَشْجَعَةَ الجُعفيَّ مُرهفةً ... كأنّها حين جازت صدرَهُ قَبَسُ

ظلَّت كرائمُ جُعفيٍّ تطيفُ بها ... هيهاتَ من طالبيهِ ذاكَ ما التمسوا

وقال أيضًا: (الرجز)

نحنُ بنو يأمٍ ونحنُ الدُّفَعَة

سائل بنا مقاعسًا[1] وصعصعة[2]

وسيّد الحيِّ الرئيس مَشْجَعَة

منحتُهُ ذات غِرارٍ مُردِعة

جادت لهُ منيَّةً مفجِّعة

---

[1] مقاعس: بطن من تميم (جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص٢١٦).

[2] صعصعة: بطن من هوازن (جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص٢٧١).

٧- أبو جسيس الجواد اليامي

وله في أبناء عمومته أبياتٌ في أمرٍ كان بينهم، فيقول:

(الرمل)

قل لهذينِ كُلا زادَكُما ... ودَعَاني واغِلًا حيثُ أُغَلّ

رُبَّ زادٍ قد أكلنا طيِّبٌ ... بعدَهُ الشَّهْدُ بألبانِ الإبل

ثمَّ لم يشهَدْهُ مثلٌ لكما ... لا ولا كان لدى الزادِ علل

إنما الزادُ لمن يَبذُلُهُ ... فإذا مانِلتَ خيرًا فأنِل

٨- الجراح بن عمرو

الجراح بن عمرو اليامي الهمداني[١]، لم يُنقل عنه سوى بضعة أبيات في النصح، وبيتٌ آخرَ يتيم وهو قوله[٢]:

(البسيط)

خَيفانةٌ يُلطمُ الجاني بلطمتِها كأنَّها ظِلُّ بُردٍ بينَ أرياحِ

ويقول:

(الطويل)

أرى الحِرصَ يَدعوني فَاِتبَعُ صَوتَهُ وَيَزجُرُني اليَأسُ الخَفِيُّ مُداخِلُه

فلا الحِرصُ يُغنيني وَلا اليَأسُ مانِعي نَصيبي مِنَ الشَيءِ الَّذي أَنا نائِلُه

يُرَجّونَ أَيّامَ السَلامَةِ وَالغِنى وَتَغتالُهُم دونَ الرَجاءِ غَوائِلُه

وَبالِغُ أَمرٍ كانَ يَأمَلُ دونَهُ وَمُختَلِجٍ مِن دونِ ما كانَ يامُلُه

---

[١] الأنساب، أبو المنذر سلمة الصحاري العوتبي، تـ٥١٢هـ، (ص٤٩٩).

[٢] ورد البيت في حلية الفرسان، ص٤٩، وشرح اختيارات المفضل للتبريزي، ص٩٣، شرح الانباري ص٤٢، شعراء همدان وأخبارها في الجاهلية والإسلام، حسن أبو ياسين، ص٢٤٥.

٩- مالك بن نمط الهمداني:

وهو الصحابي الجليل مالك بن نمط بن قيس بن سعد بن مالك بن لأي بن سلمان الهمداني ثم الأرحبي، وقال أبو عمر(اليامي)[١]، وهو الوافد ذو المشعار.

قدم وفد همدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنهم مالك بن نمط السلماني وهو ذو المشعار، ومالك بن أيفع السلماني وعميرة بن مالك الخارفي فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه من تبوك، وعليهم مقطعات الحبرات والعمائم العدنية على الرواحل المهرية، فكتب لهم كتابًا وأقطعهم فيه ماسألوه وأمر عليهم مالك بن نمط واستعمله على من أسلم من قومه، وأمره بقتال ثقيف فكان لا يخرج لهم سرج إلا أغار عليه[٢].

شعره:

ارتجز مالك بن نمط بين يدي رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال:

إليكَ جاوزتُ سوادَ الريف
في هبوات الصيفِ والخريفِ
مُخطَّماتٍ بحبال الليفِ
وقال أيضًا مرجتزًا:

[١] الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، حرف الميم ص٣٥٦.
[٢] نفس المصدر

همدانُ خيرُ سوقةٍ وأقيال ليس لها في العالمين أمثال
محلُّها الهضبُ ومنها الأبطال لها إطاباتٌ بها وآكال

وقال في النبي عليه الصلاة والسلام: (الطويل)

ذكرتُ رسولَ اللهِ في فحمةِ الدُّجى ونحنُ بأعلى رحرحانَ وصلدَدِ
وهُنَّ بنا خوصٌ قلائصُ تغتلي بركبانها في لاحبٍ متمدِّدِ
على كُلِّ فتلاءَ الذراعين جسرةٍ تمرُّ بنا مرَّ الهجفِّ الخفيدَدِ
حلفتُ بربِّ الراقصاتِ إلى مِنى صوادرُ بالركبانِ من هضبِ قردَدِ
بأن رسول الله فينا مُصَدَّقٌ رسولٌ أتى من عندِ ذي العرش مهتدِ
فما حَمَلت من ناقةٍ فوقَ رحلها أشدُّ على أعدائهِ من محمدِ
وأعطى إذا ما طالبُ العرفِ جاءَهُ وأمضى بحدِّ المشرفيِّ المهنَّدِ

ومما قاله في التوحيد ونبذ الأصنام، قوله: (الوافر)

يُريشُ اللهُ في الدنيا ويبري ولا يبري يعوقُ ولا يُريشُ

١٠ - العوام بن جهيل اليامي

وهو الصحابي الجليل العوام بن جهيل المسلمي اليامي الهمداني، كان ضمن وفد همدان على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو سادن يغوث، حديثه عند العسكري، وابن دريد في الأخبار المنثورة.[١]

شارك تحت إمرة الصحابي الجليل مالك بن نمط السلماني في قتال ثقيف.

شعره:

كان يحدث بعد إسلامه، فقال: كنت أسمرُ مع جماعة من قومي، فإذا أوى أصحابي إلى رِحالهم نمتُ أنا في بيت الصنم، فنمت في ليلةٍ ذات ريح وبرق ورعد، فلما انهار الليل سمعت هاتفًا من الصنم يقول: يا ابن جُهَيل حَلِّ بالأصنام الويل، هذا نورٌ سطع من الأرض الحرام، فودع يغوث بالسلام، قال: فأُلقي والله في قلبي البراءة من الأصنام، وكتمت قومي ما سمعت، وإذا بهاتف يقول: (الرجز)

هل تسمعنَّ القولَ يا عوامُ ... أم قد صُمِمَت عن مدى الكلامِ
قد كُشِفت دياجرُ الظلامِ ... وأصفقَ الناسُ عن الإسلامِ

[١] أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، باب العين والواو-ص٢٩٥، وفي: هدي القاصد إلى أصحاب الحديث الواحد، أبي عبدالله سيد بن كسروي،ج٤.

فقلتُ: (الرجز)

يا أيها الهاتفُ بالنَّوامِ لستُ بذي وقرٍ عن الكلامِ
فبيتنَّ عن سنةِ الإسلامِ

فرمتُ الصنم وخرجت أريد النبي صلى الله عليه وسلم، فصادفت وفد همدان يريدون النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبرته خبري، فسُرَّ بقولي ثم قال:(أخبر المسلمين). وأمرني النبي صلى الله عليه وسلم بكسر الأصنام، فرجعنا إلى اليمن، وقد امتحن الله قلوبنا للإسلام، وقلت في ذلك: (الطويل)

من مُبلغٌ عنَّا شآميَّ قومنا ومن حلَّ بالأجواف سِرًّا وجهَّرا
بأنَّا هدانا اللهُ للحقِّ بعدما تهوَّد مِنَّا حائرٌ وتنصّرا
وأنّا برئنا من يغوثٍ وقرنِهِ يعوقَ وتابعناك يا خيرة الورى

وقوله (تهوّد منا حائرٌ وتنصرا) يدل على شيوع اتبَّاع الديانات السماوية في قبائل همدان قبل الإسلام، وأنهم كانوا غير مُقتنعين بالوثنية الجاهلية، وقد أنصفهم الإمام علي بن أبي طالب عندما قال:

لهمدانَ أخلاقٌ ودينٌ يزينهُم ولينٌ إذا لاقوا وحُسنُ كلامِ
وجِدٌّ وصدقٌ في الحروبِ ونجدةٌ وقولٌ إذا قالوا بغيرِ إثامِ

١١- زياد بن كعب بن مرحب الهمداني

زياد بن كعب بن مرحب اليامي الهمداني، وهو من أصحاب الإمام علي بن أبي طالب ومن أبطال معركة صفِّين، ذكر أبو مخنف أنه كان على رجالة همدان. وهو طاعن أبي الأعور السلمي فارس بني سليم في صفين، وكان له بلاء في يوم همدان وعك، وقد كان رسولًا للإمام علي بن أبي طالب إلى الأشعث بن قيس في أذربيجان[١].

خرج أبو الأعور السلمي نحو أصحاب علي وهو يرتجز ويقول:

اليوم يومٌ قبلهُ ماقبلَه إني لحاذي كل حاذٍ بغله
وباسطٌ قبل الحذار رحله ألا ولا أعدو قبولا فعله

فقصده زياد بن كعب بن مرحب وهو يقول:

يا أيها الشامي رويدًا إنني أنصرُ شيخًا غيرَ ذي تلوّنِ
ليسَ ابنَ هندٌ ما حييتُ بمفتني إني من الذين عن تيقُّنِ

ثم طعنه الهمداني طعنةً ردته إلى معاوية جريحًا، فصاح معاوية: يا أهل الشام! لا تقصدوا بحربكم غير همدان، فإنهم أعداء عثمان بن عفان. فسمع

١ الأعيان، محسن الأمين، (٧/٨٠).

ذلك سعيد بن قيس الهمداني، فجمع بني عمه من همدان وحلفاءهم ومواليهم ثم حمل وحملوا معه على جمهور أصحاب معاوية، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة؛ فأنشأ زياد بن كعب الهمداني[1]:[2] (الطويل)

ألا يا ابن هندٍ سرّت العينُ إذ رأت ... فوارسَ من همدان بنَ زيدِ بن مالكِ
على صافناتٍ للقاءِ عوابسٌ ... طوال الهوادي مشرفات الحواركِ
موقَّرة في الطعن في نقراتها ... يجلنَ ويجلبن القنا بالسنابكِ
رماكَ عليٌّ يا بن هندٍ بجحفلٍ ... فلو لم يفُتهُ لكنتَ أوَّلَ هالكِ
وكانت له في يومه عندَ ظنّهِ ... وفي كلِّ يومٍ أسودُ اللونِ حالكِ[3]
وكانت بحمد الله في كل كربةٍ ... حصونًا وعزًّا للرجال الصعالكِ
ونحنُ خضبنا البيضَ من حيِّ حميرٍ ... وكندةَ والحي الخفاف الساسكِ
وعكٍّ ولخمٍ سائلين سياطهم ... حذار العوالي كالإماء العواركِ
فقلنا[4] حماةَ الشامِ لا درَّ درُّهُم ... بسمرِ العوالي والسيوفِ البواتكِ
يمانون قد ذاقوا الحمام وقد مضوا ... على شرِّ دينٍ في جحيم المهالكِ

والشاهدُ في نسبته إلى يام أنه في أحد أيام صفين عندما بعث معاوية بن أبي سفيان عمرو بن العاص إلى ابن مسروق العكّي، فقدَّم عكًّا إلى همدان فاقتتلوا، فتقدمت عك إلى همدان وصبرت عك، فنادى سعيد بن قيس يا آل همدان، خدِّموا السوق! فأخذت السيوف أرجل القوم فنادى صاحب عك:

---

[1] وفي وقعة صفين ص٤٣٨، حجر بن قحطان الوادعي الهمداني
[2] كتاب الفتوح، أبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي، المتوفي سنة ٣١٤هـ، (ص٩٧-ص٩٨).
[3] وقعة صفين: كاسف الشمس حالك
[4] وقعة صفين: قتلنا

يا آل عك، بركًا كبركِ الإبل تحت الجحف وشجروهم بالرماح، فتقدَّم زياد بن كعب بن مرحب وهو يقول:

قومي، بكيلٌ (يامُها)[1] وحاشدُ   نفسي فِداكُم طاعنوا وجالدوا
حتى تخرُّ منكُمُ قماحدُ   وأرجلٌ تتبعها سواعدُ
بذاكَ وصَّى جدُّكُم والوالدُ

فخرج إليه رجل من عك فَقتلَه زياد، وخرج مسروق العكي وهو يقول:

يدعونَ همدانًا وندعو عكًّا   نفسي فداكم يالعكِّ بكًّا
إن جذَّموا السوقَ فبركًا بركا   لا يُدخِلوا القومَ عليكُم شكًّا
قد محكَ القومَ فزيدوا محكا

فطعنه ابنُ كعب بن مرحب الهمداني فقتله، قال فاطعنوا بالرماح حتى تكسرت، واضربوا بالسيوف حتى تفلَّلت ثم حلوها وصاروا يتجالدون بعُمُدِ الحديدِ على الهام، من حين استقلت الشمس حتى قامت الظهيرة.[2]

وبعد أن أصبح الجمعان، استوى معاوية بن أبي سفيان على فرسه وخرج حتى وقف أمام أصحابه وجعل يعرض بقبائل همدان وهو يقول[3]:

لا عيش إلا فلق قحفِ الهامِ   من أرحبٍ وشاكرٍ ويامِ
قومٌ همُ أعداءُ أهل الشامِ   كم من كريمٍ بطلٍ همامِ
كم من قتيلٍ وجريحِ دامي   كذاك حرب السادة الكرامِ

[1] وقد تذكر بعض المصادر الأخرى غير (يامها) كلخمها أو يهمها، والأصح ما أورده الحجوري، فيوم عك وهمدان -اليوم الرابع عشر من حرب صفين- لم تبلي فيه غير هاتين القبيلتين، وشاهد ذلك قول عمرو بن العاص في يوم عك وهمدان: إنَّ عكًّا وحاشدًا وبكيلا   كأسود الشرى تلاقي أسودا
ولم يذكر لخمًا ولا غيرها، وأما عن ابن كعب فإن ذكره لحاشد وبكيل واختصاص يام بالذكر بعدما نادى قومه لا يعني إلا أنهم رهطه ومعشره، ولم تذكر التراجم نسبًا له غير ما أوردنا والله سبحانه وتعالى أعلم.
[2] روضة الأخبار وكنوز الأسرار ونكث الآثار، القاضي يوسف الحجوري، لقطة٣٢، مج١.
[3] الفتوح، ابن أعثم الكوفي، ص٤٤، وفي روضة الحجوري، المخطوط لقطة ٣٤،مج١.

فخرجَ إليه سعيد بن قيس الهمداني وهو يقول:

لا همّ ربّ الحل والإحرامِ لا تجعل الملك لأهل الشامِ
فالعامُ عامٌ ليس كالأعوامِ واليومُ يومٌ ليس كالأيامِ
والناسُ مرميٌّ بهِ أو رامي

لم يُذكر سبب أو تاريخ وفاته، ولكن هناك بعض الإشارات إلى إدراكه فترة الحسين بن علي بن أبي طالب.

كان هؤلاء شعراء العصر الجاهلي وصدر الإسلام من أبناء قبيلة يام الذين حفظت كتب التاريخ أشعارهم وأخبارهم، ومع ذلك فإن هناك مجموعة أخرى من الشعراء لم تُنقل أشعارهم ولكن ذُكرت أسماؤهم، وهم:

١٢- الوازع بن معاوية بن مالك بن أحزم بن هبرة بن مذكر بن يام

١٣- عاصم بن الأسفع اليامي

١٤- الشرقي بن عمرو اليامي

١٥- الحكم بن عبدالرحمن بن الحارث بن عبدكريم بن جحدب بن ذهل بن الحارث ابن ذهل، بن سلمة بن دؤول بن جشم بن يام.

١٦- عبد العزى بن سبع بن النمر بن ذهل، وهو والد الشاعر مدرك بن عبدالعزى السالف الذكر.

فحصيلة شعراء يام في الجاهلية وصدر الإسلام هم ستةَ عشرَ شاعرًا، ولا شك أن كثيرًا غيرهم لم يُكتب لهم بقاء ذكرهم وخلود أشعارهم في كتب التاريخ، فمن أسباب قلة أخبار يام في الجاهلية أنهم كانوا من بادية قبائل همدان، بعيدًا عن الحضارة والتدوين. « قيل: كان العز في ثمان قبائل من همدان، أربع من حاشد، وأربع من بكيل.

فقبائل حاشد: **يام** وعذر ووادعة ودالان، وقبائل بكيل أرحب ومرهبه ونهم وشاكر.

فهؤلاء الذين امتنعوا على ملوك حمير وتركوا ضياعهم[١] أنفًا واتَّبعوا رباط الخيل واتخذوا بيوت الشعر في رؤوس الجبال، وأغاروا على حمير وغيرها، ولم يسمعوا لِتُّبع

[١] ضياعهم: جمع ضيعة أي قرية.

ولم يطيعوا، ولم يؤدُّوا الإتاوة، فصاروا عزًّا لسائر همدان، فكان الرجل إذا جنى جناية لحق بهم، فلم يُطمع فيه، وإذا أغار أحد على من همدان أغاروا عليه وطلبوا الثأر، وهم أخرجوا مراد من الجوف» [1] فكان ابتعادهم عن مواطن الحضارة واتّباعهم حياة البادية سببًا في اندثار كثير أخبارهم، وهذا حال الكثير من القبائل.

[1] عيون المختار من فنون الأشعار والآثار، مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي.

العصور الإسلامية الوسطى

٤٠٠هـ-٩٠٠هـ

يعلمُ القارئ في صفحات التاريخ ما وقع بين المسلمين من خلافات أدت لتميز فئات وتغييب فئات أخرى، وهذا التغييب ينطبق كذلك على القبائل العربية بعد تكوّن الصورة النهائية للخلافة، فبعد انكشاف غبار المعارك، وعودة السيوف إلى أغمادها، قُرِّب للبلاط من ذاد عنه، وغيِّب من أشهر عليه السلاح في أي صف كان، وليس بالتمام ولكن بشكلٍ عام، تضاءَل ذكر قبيلة يام بصورة واضحة في القرون الأولى من عصر الإسلام، نتيجة الجانب الذي اختارته القبيلة وأسندته، وظلت كسائر رعايا الخلافة تؤدي ماعليها من واجبات وتنتزع ما لها من حقوق، ولاشك أنَّ مِن قبيلة يام الهمدانية مَن شارك وجاهد في الفتوحات الإسلامية ومن استبسل ومن مات شهيدًا، كغيرها من قبائل العرب ومن أبناء الإسلام، ولكن -كما تقدَّم- أن حياة البادية التي اتخذتها قبيلة يام والدور الذي لعبته مع قبائل همدان الأخرى في صدر الإسلام، لم يُكسبها السلطان والأمر فظلَّت بعيدًا عن البلاط حتى مطلع القرن الخامس الهجري (٤٠٠هـ-٥٠٠هـ)، عند بزوغ نجم الدعوة الصليحية وقيام الدولة الهمدانية في اليمن على يد مؤسسها السلطان أبي الحسن علي بن محمد الصليحي الهمداني ٤٣٨هـ، الذي أسندته همدان -ويام على وجه الخصوص- في قيامه وثبَّتت أركان حكمه، ثم تفردت بالسلطة والحكم فيما بعد.

نُبذة عن الدولة الصليحية:

قامت الدولة الصليحية على يد مؤسسها أبي الحسن علي بن محمد الصليحي وذلك في عام ٤٣٩هـ، ويرجع نسب الصليحي إلى قبيلة الأصلوح التي تعدُّ حيًّا من الحجور أو الأحجور الحاشدية الهمدانية، من بني عبيد بن أوام بن حجور بن أسلم بن عليان بن زيد بن عريب بن جشم الأوسط بن حاشد بن جشم الأكبر بن حبران بن نوف بن همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ.

بدأ (أبو الحسن) أمره دليلاً للحجاج عن طريق جبال السراة، واستمر على ذلك خمسةَ عشرَ عاماً كان خلالها يتعرف على أهل اليمن، ويجتمع بالعلماء منهم ومن غيرهم، وكان يبحث مع من يأنس بهم أمر القيام بالدعوة الفاطمية في اليمن، وعن الوسائل الكفيلة بنجاحها. وأكسبته رحلات الحج تلك خبرة بأحوال الناس، ومكَّنته من دراسة النفس اليمنية، وأفادته في التعامل معها طيلة عهده. وبقيام الإمارة النجاحية والدولة الصليحية قامت في اليمن حكومتان متعارضتان سياسيًّا وعقائديًّا، اتّسمت الأولى بالسنية بحكم تبعيتها للعباسيين، واتسمت الثانية بالشيعية بحكم تبعيتها للفاطميين.

ولكن أبا الحسن الصليحي هادن الأمير نجاح؛ لأنه في مراحله الأولى لم يكن يقوى على محاربته، لاسيما وهو يحارب مختلف الإمارات والزعامات التي كانت قائمة عند قيامه في سائر مناطق اليمن غير تهامة منطقة نفوذ

النجاحي، ولو فعل الصليحي ولم يهادن نجاحاً لدفعه إلى مساندة القوى الأخرى ضده ومع ذلك فقد قام الصليحي بقتل نجاح بالسم عن طريق جارية جميلة أهداها إليه كما تضافرت على ذلك كتب المؤرخين.

ثورة أبي الحسن الصليحي:

وفي العامين الأخيرين من الخمسة عشر عاماً، التي ظل (أبو الحسن علي بن محمد الصليحي) فيها دليلاً للحاج بحث مع أعيان اليمن ممن يأنس بهم أمر القيام بالدعوة الفاطمية في اليمن ثم تعاهد مع ستين رجلاً من همدان في مكة على أن يجهروا بالدعوة، ويجاهدوا في سبيلها حتى يظفروا بها أو يموتوا، وكان المتحالفون معه في عزة ومنعة من قومهم.

وقد استطاع الصليحي بذكائه أن يغرس في نفوس الخاصة أنه إنما يدعو لنصرة الإمام المستنصر الفاطمي، ولإعلاء كلمة الله، كما عمل مع ذلك على استمالة العامة باستقامته ومسلكه الديني، وعن طريق الجماعة التي تحالف معها من همدان كون جيشاً واجه به بعد إعلان الدعوة أعداءه الكثيرين، وفيهم من همدان نفسها من غير من تعاهد معهم.

وحدد مع خاصته يوم الأربعاء الرابع عشر من جمادي الآخرة من عام (٤٣٩) للهجرة موعداً لإعلان الدعوة من أعلى جبل مسار في بلاد حراز، وطلب منهم وصولهم في الموعد المذكور، وكانوا من **يام نجران**[١] وسنحان صعدة، وقال

[١] ذكر ذلك أيضا حسين بن فيض الله اليعبري الحرازي، الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن(ص٧٣) «واجتمع له في هذه الليلة من أرض يام خلف صعدة...»

تاج الدين اليماني:(فلما ظهر بمسار وقد طلعه قومٌ من الحجاز، وسنحان، **ويام جشم وهبرة)**[1]، وفي نفس اليوم المذكور بعث رسله إلى أتباعه القريبين منه في بلاد حراز، واجتمع له ذلك اليوم من همدان ثلاثمائة رجل عدا من اجتمع لديه من بلاد حراز والمناطق القريبة منها.

ولما كان عصر اليوم المذكور أرسل (أبو الحسن الصليحي) أربعين رجلاً من أهل هوازن من بلاد حراز إلى قمة جبل مسار للتمركز فيه، ومنع أهل مسار من الاستيلاء عليه والحيلولة دون طلوعه. أما هو وبقية أتباعه فإنهم صعدوا جبل مسار بعد صلاة العشاء، وفشلت محاولة أهل جبل مسار منعه من طلوع الجبل، ومن أعلى جبل مسار أعلن دعوته للإمام المستنصر الفاطمي (معد بن الطاهر). وفي اليوم التالي مباشرة لدعوته أحاط به على الجبل جمع كبير ذكر.

أنهم بلغوا العشرين ألف رجل ممن يجهلون حقيقة دعوته أو يعارضونها، وطلبوا منه النزول من الجبل، وقالوا له: " إما نزلت وإلا قتلناك ومن معك بالجوع". فرد عليهم بأنه لم يقصد من طلوعه الجبل إلا حفظه من أن يملكه غيرهم فيحكمهم منه، وأبدى استعداده للنزول إذا هم أرادوا ذلك فانصرفوا عنه.

[1] بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تاج الدين عبدالباقي بن عبدالمجيد اليماني تـ٧٤٢هـ،(ص٨٨).

وكما علمنا فإن دعوته كانت قد انتشرت سراً في المنطقة وغيرها ولا سيما بين كثير من خاصة الناس وأصحاب الكلمة النافذة فهم ممن لا يناوئونه في حركته فتدخل أنصار دعوته ومن والاه من غيرهم وأسهموا في إقناع المعارضين من المحيطين بالجبل، واستطاعوا أن يصرفوهم عن محاصرته.

"ويؤيد هذا ما أجمع عليه المؤرخون من أنه لم يمضِ شهر واحد من دعوته حتى كان قد عمر جبل مسار، ووصلته الأموال الوفيرة من مختلف المناطق اليمنية، وساعده ذلك على أن يضاعف من تحصين جبل مسار بالبناء والعتاد والمؤن والرجال، وعلى بث دعاته إلى سائر أنحاء اليمن، بعد أن حصل على الإذن بإعلان الدعوة من الإمام المستنصر واكتسب بإذنه الصفة الشرعية لحكمه، وكان نص كتاب دعوته كالآتي:

(بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد الله الذي أورى زناد الحق ورفع عماد الصدق بالذين أكمل بهم الحجة على الخلق، إلى آخر المقدمة من الحمد والصلاة والتسليم على رسول الله وعلى الإمام المستنصر الفاطمي، (أما بعد، يا أهل حراز ألهمكم الله رشدكم، وجعل الجنة قصدكم، فلم أطلع حصن مسار متجبراً باغياً، ولا مستكبراً على العباد عاتياً، ولا أطلب من الدنيا وحطامها، ولا طالباً لذلك غوغاءها وطغامها، لأن لي بحمد الله رادعاً يحجزني عما تطمع إليه النفوس، وديناُ اعتمد عليه، وإنما بالحق الذي أمر الله عز وجل، والعدل الذي أنزله في محكم كتابه، أحكم فيكم بحكم أوليائه وسنن

أنبيائه، وأدعو إلى محبة الذي في أرضه، القائم بفرضه، (يعني الإمام المستنصر الفاطمي)، لست من أهل البدع ولا من ذي الزور والشنع، الذين يعطون بالدين بآرائهم، ويحكمون بأهوائهم، بل أنا متمسك بسبيل الله المتين عامل بما شرعه الله في الدين، وداع إلى أمير المؤمنين عليه صلوات رب العالمين، لا أقول إلا سداداً، ولا أكره في الدين أحداً، (فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها، وما الله يريد ظلماً للعالمين)، واعلموا يا أهل حراز إني بكم رؤوف، على حمايتكم عطوف، أنظر للذي يجب عليَ من رعايتكم وحياطتكم، ويلزمني من عشرتكم وقرابتكم، وأنظر لذي الحق حقه، ولا أظلم سابقاً أسبقيته، وأنصف المظلوم، وأقمع الظالم الغشوم، وأبث فيكم العدل، وأشملكم بالفضل، فاستديموا ذلك بالشكر، ولا تصغوا إلى قول أهل الكفر، فيحملونكم من ذلك على البغي والعدوان، والخلاف والعصيان، وكفر الأنعام والإحسان، فتستوجبوا بذلك تغيير الإنعام، وتعجيل الانتقام، وكتابي هذا حجة عليكم ومعذرة إليكم، والسلام على من اتبع الهدى، وتجنب أمور الردى، والحمد الله على ما أعاد وأبدى، وصلاته على من أرشد به من الضلالة وأهدى، سيدنا محمد وآله أئمة الهدى وسلم تسليماً، وحسبنا الله ونعم الوكيل")[١].

وقد كانت دعوته هذه موجهة كما نرى لأهل حراز دون غيرهم وهم أهله الأقربون والذين يرى وجوب إقناعهم وكسبهم قبل غيرهم.

---

[١] تاريخ اليمن، عمارة اليمني،(ص٣٨٠)

صمود أبي الحسن الصليحي أمام مناوئيه في بداية عهده:

وبالرغم من قوة جانب (أبي الحسن علي بن محمد الصليحي وسرعة انتشار دعوته وإجابة الكثير لها فإن كثيراً من رؤساء اليمن أصحاب النفوذ المحلي والكثير من أمراء اليمن وسلاطينها وأئمة الزيدية فيها، لم يرضخوا لحكمه إلا بعد معارك حربية معه، ومحاولات كثيرة بذلوها للقضاء عليه.

ومن أولئك الأمير (جعفر بن الإمام القاسم بن علي العياني) الذي تحرك من بلاد صعدة على رأس جموعه نحو حصن الأخروج في بلاد الحيمة بغية الاستيلاء عليه والتحصن فيه والانطلاق منه لحرب (أبي الحسن الصليحي)، ولكن حامية الحصن وعلى رأسهم عامل (أبي الحسن الصليحي) عليه (الحسين بن مهلهل) صمدوا في وجهه ومنعوه من الاستيلاء عليه، ومع ذلك فقد استمر في حصار الحصن ولم يرتفع عنه إلا بعد مقتل (جعفر بن عباس الشاوري) وانهزام جيشه في المعركة التي خاضها معه (أبو الحسن الصليحي)، وكان الشاوري قد جاء على رأس جموعه لحرب الصليحي، ودارت الدائرة عليه وعلى جيشه الذي كان يتكون من ثلاثين ألف مقاتل، وكانت المعركة التي قامت بين الجانبين في موضع (عبرى دعاس) أسفل حراز، أي أن الشاوري غزا الصليحي إلى عقر داره، وإن الصليحي لم يكتف بالتحصن في جبال حراز المنيعة، وإنما نزل على رأس جموعه لمنازلة الشاوري وانتصر عليه انتصاراً

ساحقاً حطم معنوية الأمير جعفر العياني المحاصر لحصن الأخروج فانسحب منه كما عرفنا، وقد غنم الصليحي من جيش الشاوري مغانم كثيرة ضاعف بها من تقوية جانبه، وأجبر الكثير من أهل بلاد حراز الذين لم يكونوا قد أعلنوا ولاءهم على الولاء، باستثناء (أبي النور بن جهور) صاحب حصن لهاب أحد حصون حراز المنيعة، فإنه أعلن تمرده على (أبي الحسن الصليحي)، وقد قام الصليحي إزاء ذلك بتقوية تحصين الجبال المسامتة لطود (لهاب) بالرجال والعتاد والمؤن كجبل شبام وغيره، ثم حرك جيشه لحرب ومحاصرة (ابن جهور) حتى اضطره إلى التسليم، والوصول إلى الصليحي الذي أحسن استقباله وإكرامه.

مؤتمر عبري دعاس:

ثم أقام (أبو الحسن الصليحي) مؤتمراً في (عبري دعاس) أسفل بلاد حراز أمر الناس فيه بإقامة الصلاة وإحياء الفرائض وعمارة المساجد، وإيقاد المصابيح فيها، وأكد لهم أن الأمر الذي قام به ليس هو من أمور الدنيا، ولا مراد كمراد السلاطين، بل قام مؤثراً لأمر ولي رب العالمين، مجاهداً في سبيله، غير مكره لأحد في الدين، ولا طالب إلا رضى رب العالمين، وأنه لا يسير بهم إلا بسيرة الحق والعدل، وأنه مجبول على ذلك. كما حذر الناس من الشقاق والخلاف.

ثم تقدم إلى العمال في ذلك المؤتمر وأوعدهم بالتنكيل إن رفع إليه شيء مما نهاهم عنه، ووعدهم بحسن السياسة وأنه لا يخالف الكتاب والسنة، وأمر جميع الرعايا بأن يرفعوا إليه ما يكون من العمال من القبيح والحسن، حتى يُنزل بهم إنعامه وعقوبته بحسب أفعالهم ".

اتساع نفوذ أبي الحسن الصليحي واستيلاؤه على صنعاء:

ثم استولى (أبو الحسن الصليحي) على جبل حضور في مخلاف حضور من بلاد البستان إحدى نواحي صنعاء وفيه جبل النبي شعيب الذي يعتبر أعلى جبل في اليمن، وحصنه، وكان قد استولى على حصن يناع في بلاد الحيمة من لواء صنعاء، ولما بسط نفوذه على جميع بلاد حراز وعلى الجبال المنيعة فيها وفي المناطق المجاورة لها قرر أن يتبع سياسة المهادنة مع سائر السلاطين ورؤساء القبائل الذين لم يكونوا قد أعلنوا ولاءهم له حتى ترسخ سلطته ويتوطد نفوذه في المناطق التي قد استولى عليها.

وحدث أن توفي السلطان (يحيى بن أبي حاشد بن العباس بن الضحاك الحاشدي) في صنعاء، وكان ولده (أبو حاشد) قد تسلم حكم صنعاء في حياة أبيه في تلك الفترة ونازع الإمام الديلمي عليها، فبعث أبو الحسن الصليحي وفداً إلى السلطان (أبي حاشد) يعزيه بوفاة أبيه، ففسر (أبو حاشد) ذلك ضعفاً من (أبي الحسن الصليحي) أو تدخلاً في شؤونه (على اختلاف بين

المؤرخين) وقام بحشد جموعه والتقدم بهم لمحاربة الصليحي، ولكن هذا بادره قبل أن يصل إلى حراز والتقى معه عند قرية (صوف يازل) بين مخلاف حضور ومخلاف (بني شهاب) وقامت معركة بينهما أسفرت عن مقتل (أبي حاشد) وانهزم جيشه بعد مقتل عدد كبير منه بلغ ألف قتيل، حتى ضُرب المثل بتلك الوقعة وصارت تعرف بقتلة صوف لكثرة من سقط فيها من القتلى، وكان للحادث أثره في الانتصارات التي توالت لأبي الحسن الصليحي بعده، والتي استطاع بها أن يوحد اليمن جميعه في ظل رايته، وقد واصل أبو الحسن الصليحي تقدمه بعد انتصاره في حربه مع (أبي حاشد الحاشدي) نحو صنعاء واستولى عليها وذلك في عام ٤٤٠هـ.

مقتل الإمام أبي الفتح الديلمي:

ولما استقر الملك (أبو الحسن علي بن محمد الصليحي) في صنعاء ركز على إقرار الأمور في المناطق التي قد بسط نفوذه عليها وأهمها عاصمة اليمن (صنعاء)، ويبدو أنه لم يقم بتحرك عسكري خارجها حتى عام ٤٤٤هـ، حيث قام فيها بالتحرك منها على رأس جموعه لحرب الإمام (أبي الفتح الديلمي)، وقد اشتبك معه عند نجد الجاح شرقي رداع في معركة كبيرة أسفرت عن مقتل الإمام الديلمي وانهزام جيشه، ودفن الإمام في (قاع ردمان) في المنطقة والتي سميت من يومئذٍ بقاع الديلمي، وقبره ما يزال معروفاً فيه إلى اليوم.

فشل التحالف ضد أبي الحسن الصليحي:

وفي عام (٤٤٨) للهجرة تحالف (سلامة بن الضحاك الحاشدي) و(علي بن ذعفان الحاشدي) و(عبد الله بن جعفر بن قاسم العياني) على حرب (أبي الحسن الصليحي) وتجمعوا بحشودهم في (حاز) من بلاد همدان صنعاء، ولما بلغ الصليحي بادرهم إلى المكان المذكور، وفي ساعة مبكرة من ليلة وصوله إليهم هاجمهم إلى معسكرهم فولوا منهزمين، فتعقبهم حتى لاذوا بالفرار ولجأ زعماؤهم بـ (حصن هرابة) في وادعة حاشد) وحاصرهم فيه سبعين يوماً، وضرب قرية هرابة بالمنجنيق، وقطع عنهم المدد والماء حتى سقطت القرية وسقط الحصن في يده وسلم الأمير (عبد الله بن جعفر العياني) نفسه إلى أبي الحسن الصليحي، الذي أحسن استقباله كعادته وخلع عليه وعاد به وبالأسرى إلى صنعاء وقال الصليحي يومئذٍ : "لو ملكت رجال الهرابة لملكت بهم الروم ".

قيام الحرب بين (أبي الحسن الصليحي) والأمير نجاح:

وكان (أبو الحسن الصليحي) يهادن ويلاطف الأمير نجاح حاكم تهامة حتى استطاع الإمام الديلمي أن يفسد ما بينهما وأن يغري نجاح بحرب الصليحي الأمر الذي حمل نجاحاً على أخذ أهبته لغزو الصليحي وحربه، ودفع الصليحي إزاء ذلك إلى أن يبدأ بحرب الإمام وحدث أن قضى عليه كما عرفنا.

ولما تقدم الأمير نجاح بحشوده إلى الخبت بالقرب من صعفان حراز تقدم الصليحي بجموعه وقامت حرب بينهما استمرت عدة أيام تغلب جيش الصليحي في نهايتها، وانسحب نجاح قافلاً إلى تهامة.

وفيها حشد المزيد من القوات ذكر أنها بلغت عشرين ألف مقاتل جهزها وأرسلها إلى المخلاف السليماني شمال منطقة نفوذه طالباً من (ابن طرف) حاكم المخلاف المذكور الانضمام إليه بقواته لحرب الصليحي، والظاهر أن الأمير نجاح حشد قواته في شمال بلاده حدود بلاد (ابن طرف) من جنوبها لا داخل بلاد ابن طرف. وعلى كلا الاحتمالين فقد اجتمعت قوتا الحليفين نجاح وابن طرف في المخلاف السليماني.

ولما بلغ الصليحي ذلك بادرهم بنفسه على رأس ألفين وسبعمائة فارس من أبطال رجاله، والتقى الجمعان في محل يعرف بالزرائب من المخلاف السليماني المذكور وقامت معركة حامية بين الجانبين أسفرت عن انتصار الصليحي ومقتل عدد كبير من الأحباش النجاحيين وحلفائهم ولجوء باقيهم إلى جبل يعرف بالعكوتين في المنطقة، وعاد الصليحي ظافراً، ولم تكن هذه الحرب هي نهاية الصراع بين (الصليحيين) و(آل نجاح). ولكن (أبا الحسن الصليحي) أجل استئناف الحرب معه حتى يقضي على الإمارات الصغيرة القائمة في اليمن الأسفل وعدن.

انتصارات أبي الحسن الصليحي في اليمن الأسفل وعدن:

واستعداداً لانقضاض (أبي الحسن علي بن محمد الصليحي) على إمارة آل نجاح، والإجهاز عليها، تحرك بجيوشه في عام (٤٥٠ هـ) نحو اليمن الأسفل وعدن، واستولى على إمارة (بني الكرندي)[١] حكام مخلاف الجند ومخلاف جعفر والمعافر (بلاد الحجرية)، ولم يشدد الضغط على السلطان (أحمد بن يعفر الكرندي) الذي تحصن بجبل السوى من أعمال جبل حبشي بلاد الحجرية، واستولى على حصون تلك المناطق، بما فيها جبل صبر، وحمن الدملؤة في بلاد الصلو من أعمال الحجرية أيضاً، واستولى على حصن حب في بلاد بعدان وعلى بلاد الشعر وبلاد بعدان وعلى بلاد السحول ومخلاف الشوافي بعد أن أخضع حاكمها (أبا عبد الله الحسين التبعي)، واستولى على جميع حصونها، ثم دخل الجند وخطب فيها الناس لصلاة الجمعة وقال في نهاية الخطبة: "وفي مثل هذا اليوم نخطب في جامع عدن".

ويبدو أن أبا الحسن الصليحي هادن (بني معن) حكام عدن لاستسلامهم له وعدم مقاومته، وأبقاهم على ما بنظرهم نواباً له، ولما زوج ابنه (المكرم أحمد بن علي الصليحي) السيدة بنت أحمد الصليحي جعل خراج عدن صداقاً لها، وظل بنو معن يرفعونه إليها في حياة أبي الحسن الصليحي وبعد موته، ويبدو أن ذلك شجعها وساعدها على القيام بالأعمال العمرانية الجليلة ومنها شق الطرقات وتعبيدها بالأحجار كما سيأتي، ثم واصلت تلك

[١] بني الكرندي: قوم من حمير من ذرية سبأ الأصغر.

الأعمال وتوسعت فيها بعد استقلالها بالحكم إثر موت زوجها الملك المكرم المذكور.

ولما حاول (بنو معن) قطع ما كانوا يؤدونه من الأموال بعد موت الملك (أبي الحسن الصليحي)، قام ابنه الملك المكرم المذكور بعد حسم الاضطرابات واستتباب الأمور لصالحه بغزوهم أي بني معن والقبض عليهم، وإسناد أمر ولاية عدن وأعمالها إلى **(العباس) و(مسعود) ابني الكرم الجشمي اليامي الهمداني كما سنعلم لاحقًا.**

امتداد نفوذ أبي الحسن الصليحي إلى الحجاز:

لم يكتف الصليحي بما بلغه من نفوذ في اليمن، بل تطلع إلى بسط نفوذه إلى الحجاز، لأن الحجاز في نظره هو أقرب البلدان الإسلامية إلى اليمن، وفيه الأماكن المقدسة، وكجزء مما كان يطمح إليه من تحقيق وحدة إسلامية، تدين بالولاء للفاطميين في أكثر من بلد إسلامي، بما فيها العراق، بعد القضاء على العباسيين.

وقد انتهز فرصة خروج والي الحجاز (أبي عبد الله شكر بن أبي الفتوح الحسيني) عن الدعوة الفاطمية وقطع الخطبة للإمام المستنصر الفاطمي، وخطب للخليفة العباسي، فاستأذن الإمام المستنصر بغزو الحجاز، وإزالة الشريف شكر عن حكمه، وضم الحجاز إليه لضمان دوام نفوذ الدعوة

والدولة الفاطمية فيه، فأذن له الإمام المستنصر بغزو الحجاز على ألا يسفك الدماء في مكة، وقد تبادل الشريف شكر مع السلطان الصليحي الأشعار والتهديدات والوعيد، فمن ذلك قول الشريف:

لَتحطيمُ الجماجمِ والرؤوسِ وإقحامي خميسًا في خميسِ

فكان الرد من أحد شعراء الصليحيين، وهو عمرو بن يحيى الهيثمي يقول:

متى أَذِنَ الإمام بحربِ شُكرٍ أتتهُ بموتهِ خيلي وعيسي
ومن جنبٍ وسنحانٍ و يامٍ بأبطالٍ لدى الهيجاء شوسِ
بني حسنٍ حذارِ إن أتتكم جنودُ اللهِ بالخُطُبِ الشكوسِ

والقصيدة طويلة ذَكرها كاملة صاحب عيون الأخبار، في سبعه السابع.

تحرك الصليحي من اليمن نحو الحجاز بقوة كبيرة من الفرسان في شهر ذي الحجة من عام (٤٥٤ هـ)، واستصحب معه ملوك اليمن وزعماءه، ودخل مكة وقضى مناسك الحج، ولكنه لم يصل مكة إلا وقد توفي الشريف شكر بن أبي الفتوح، وخلفه الشريف (محمد بن جعفر ابن أبي هاشم الحسيني).

وأقام (أبو الحسن الصليحي) في مكة حتى يوم عاشوراء من عام (٤٥٥ هـ)، أجزل للناس فيها الهبات والصدقات، وكسى الكعبة بالديباج الأبيض، ثم عاد إلى اليمن مطمئناً إلى ولاء الشريف محمد بن جعفر المذكور للإمام الفاطمي، والدعوة له، ولكنه لم يلبث بعد عودة الصليحي إلى اليمن أن خرج عن الولاء للفاطميين وأعلن ولاءه للعباسيين.

قضاء أبي الحسن الصليحي على إمارة آل نجاح:

قام الصليحي فور عودته من رحلته إلى الحجاز بإخضاع الخارجين على دولته من زبيد وعنس واستولى على حصن مثوة في منطقتهم، وكانوا قد تابعوا رجلاً تمركز فيه.

وفي نفس العام المذكور ٤٥٥هـ قام الصليحي بالتحرك على رأس جيوشه نحو تهامة للقضاء على إمارة (آل نجاح) فيها، وكان الأمير نجاح قد مات كما ذكر بالسم عن طريق جارية أهداها له الصليحي في عام ٤٥٢هـ.

وقد استولى الصليحي على مدينة زبيد عاصمة الإمارة بعد أن ابتعد عنها القائم عليها (مرجان الكهلاني)، أما أولاد الأمير نجاح فإنهم فروا إلى جزيرة دهلك بالبحر الأحمر مقابل إرتيريا، باستثناء أبو المعارك بن نجاح فإنه قتل نفسه، ثم بسط الصليحي نفوذه على تهامة كلها، وبذلك تم له القضاء على إمارة آل نجاح التي تعتبر آخر إمارة يمنية بسط نفوذه عليها، وحقق بذلك الوحدة اليمنية.

مقتل أبي الحسن الصليحي:

استأذن (أبو الحسن علي بن محمد الصليحي) الإمام المستنصر الفاطمي الوصول إلى مصر لزيارته بعد أداء مناسك الحج، فأذن له بالحج.

وتحرك (أبو الحسن الصليحي) من صنعاء نحو مكة يوم الاثنين السادس من شهر ذي القعدة من عام (٤٥٩ هـ) واستصحب معه كعادته جميع ملوك اليمن وأمرائه وزعمائه وعددهم خمسون للحج معه، ولئلا يحدثوا في غيبته حدثاً ضد ولي عهده ابنه (المكرم أحمد بن علي الصليحي)، كما استصحب معه سبعين أميراً ورئيساً من الصليحيين وغيرهم من **يام** وجنب وسنحان صعدة وحراز وغيرهم، وقدمهم أمامه، وسار هو في ألفي فارس، وبين يديه خمسمائة حربة مطهمة بالسروج المحلاة بالذهب والفضة، وخمسين هجيناً، وكثيراً من الآلات وصنوف الزينة وغيرها.

ولما كان مخيماً بضيعة تعرف بأم الدهيم وبئر معبد بالقرب من مدينة المهجم بوادي سردد من بلاد تهامة هاجمه سعيد الأحول بن نجاح، بخمسة آلاف حربة جمعهم من تهامة ومن جزيرة دهلك ومن الحجاز وغيرها طيلة فترة إبعاده وإخوته عن الحكم، وجميعهم من فرسان الأحباش من بني جلدته وقومه الذين قضى (أبو الحسن الصليحي) على مصالحهم وعلى نفوذهم عند استيلائه على إمارة (آل نجاح)، وقضى على تجمعهم وتمركزهم داخل تهامة وشردهم في بعض مناطق اليمن وخارجه، وكان أبو الحسن في قلة من حرسه

وعسكره وحاشيته، لأنه كان قد قدم جمهرتهم قبله، لئلا تضيق بهم الطريق، وقتله وقتل أخاه عبد الله بن محمد الصليحي غدراً، ثم حاصر مخيم السيدة أسماء بنت شهاب زوجة الملك أبي الحسن الصليحي ثلاثة أيام بغية أسرها.

دافع ولدها الموفق والمهنا علي بن المظفر الصليحي وحرس الملك الخاص عنها خلالها، ولم يستسلموا إلا بعد أن منحهم سعيد الأحول بن نجاح الأمان، وأعطاهم المواثيق والعهود على ذلك، ولما سلموا أنفسهم إليه قتلهم جميعاً، باستثناء السيدة أسماء بنت شهاب التي أسرها، وكان قد قتل مع أبي الحسن الصليحي وأخيه عبد الله عدداً من أمراء وملوك اليمن، وكان ذلك في اليوم الحادي عشر من شهر ذي القعدة من العام المذكور.

ثم نقل السيدة أسماء إلى زبيد حيث أودعها أسيرة في دار شحار إحدى دور الإمارة فيها، وعلق رأسي زوجها وأخيه عبد الله أمام نافذتها، وظلت في الأسر عاماً كاملاً، كان يأمل فيما يبدو أنه سيساوم بها ابنها المكرم، بأن يفرج عنها مقابل تعهده بعدم محاولة استعادة نفوذه على تهامة، وأن يترك لآل نجاح حكمهم عليها كحق شرعي لهم عليها، وذلك في حالة خروجه من المحنة واحتفاظه بملكه، ولم تتغلب عليه القوى المختلفة التي ثارت عليه في أماكن كثيرة من اليمن بعد مقتل أبيه.

هذا وكان الملك (أبو الحسن الصليحي) حين جاءه كتاب واليه على زبيد (أسعد بن عراف) يخبره بخروج سعيد الأحول من جزيرة دهلك مع مجموعة

من فرسانه وبني عمه لقتله، قد أرسل خمسمائة حربة من عبيده الأحباش وأولياء نعمته ليتصدوا لسعيد الأحول وقال لهم: "خذوا رأس الأحول وأخاه جياش" ولكن عبيد أبي الحسن الصليحي اختلفوا مع سعيد الأحول ورجاله في الطريق، أو أنهم تعاطفوا معهم وهم أبناء عمومتهم وجنسهم (على اختلاف في روايات المؤرخين) وتمكن (سعيد الأحول بن نجاح) ورجاله من الوصول إلى معسكر أبي الحسن الصليحي، وإلى مخيمه وقتله باستثناء زوجته أسماء بنت شهاب، وكان حرس الصليحي القليلون يعتقدون أن الأحول ومن معه هم من عسكر الصليحي الأحباش (ولا حذر من قدر)

ولقد روى قصة الحادث الأمير (جياش بن نجاح) في تاريخه (المفيد): كما حكى ذلك عنه (الخزرجي) في تاريخه (العسجد المسبوك) (نسخة) (دار الكتب المصرية) (مخطوطة) حيث قال: (وسرنا في طريق الساحل خوفاً من العسكر فكتب (أسعد بن شهاب) (صوابه أسعد بن عراف) عامل الصليحي على زبيد من زبيد إلى الصليحي يعلمه بخروجنا وعددنا، فسير الصليحي من ركبانه خمسمائة حربة من الحبشة، وأكثرهم من مماليكنا وبني عمنا، وقال: (خذوا رأس الأحول ورأس أخيه) فخالفناهم في الطريق، ولم نزل نجد السير ليلاً ونهاراً إلى أن دخلنا طرف المخيم والناس يظنون أنا من جملة عسكره وحواشيه، ولم يشعر بأمرنا إلا (عبد الله بن محمد الصليحي) فإنه ركب فرسه وقال: (يا مولانا اركب، فهذا والله الأحول بن نجاح العدو الذي جاءنا به كتاب أسعد البارحة من زبيد) وكان علي بن محمد الصليحي قد دخل

الخلاء، وكنت أول من طعنه، وشركني فيه عبد الملك بن نجاح طعنة أخرى، وحززت رأسه بيدي، وركبت فرسه المسمى بالدنان، وحمل فينا أخوه (عبد الله بن محمد) وكان فارس العرب، وقتل منا رجالاً، ثم حمل عليه رجل منا وسقط معه إلى الأرض، ونادى صاحبنا اقتلوني أنا والرجل، فشكهما الملك سعيد الأحول بحربته، وضرب رأس عبد الله وهو يظنه علي بن محمد الصليحي، ووقف الأسرى أمامه على باب المجلس الذي فيه السيدة أسماء بنت شهاب، وقال: اخرجي صبحي على السلاطين، فقالت: لا صبحك الله يا أحول بخير، ثم أبدت وجهها وأنشدت قول امرئ القيس:

وإنك لم يفخر عليك كفاخرٍ ضعيفٍ ولم يغلبك مثل مغلب

وأضاف الخزرجي متابعاً حكاية القصة عن جياش فقال: "وعزت نفس سعيد من يومئذٍ وشمخ بأنفه علي وأنا ابن أبيه وأمه، وذلك أني أشرت عليه بأن يحسن للسيدة أسماء بنت شهاب، وأن يعفو عمن قدر من (آل الصليحي) وغيرهم من أبناء الملوك، وأن يكتب إلى ولدها المكرم: إنا قد أدركنا ثأرنا واسترجعنا ملكنا، وقد أحسنا وتجملنا إليك بصيانة والدتك والعفو عن بني عمك وقلت له: لئن فعلت ذلك يا مولانا ما نازعتك قحطان في ملك تهامة، ولئن كرهت ذلك لتهيجن حفائظها، وتلظين بنارها، فإنهم أهل نفوس أبية وهمم عربية، فأجابني بقول الشاعر:

لا تقطعن ذنب الأفعى وتتركها إن كنت شهما فأتبع رأسها الذنبا [1]

وقتل من ظفر منهم، إلا ثلاثة منهم فلم يقتلهم، وهم: (كما حكى ذلك الجندي في تاريخه (السلوك) (مخطوط): (وائل بن عيسى) صاحب وحاظة، و(علي بن معن) صاحب عدن، و(ابن الكرندي) صاحب المعافر،

كما رثته أخته الحرة الزكية السيدة تحفة بنت محمد الصليحي بقصيدة قالها الشاعر (الحسين بن علي بن القمّ اليامي) سيتم ذكرها في الديوان إن شاء الله تعالى.[2]

الدولة الحاتمية:

بعد وفاة سبأ بن أحمد الصليحي وسليمان الزواحي خرج الملك حاتم بن الغشم الهبري اليامي واستقلَّ بحكم صنعاء في سنة٤٩٢هـ، ولم يبق للصليحين بعد ذلك ذكر في صنعاء، ودانت قبائل همدان للملك الهبري الصاعد، وباستقلاله قامت نشأت الدولة الحاتمية اليامية، ثم تعاقبت على عرش صنعاء ثلاثُ أسر من قبيلة يام، آل الغشم من هبرة بن مذكر، ثم آل القبيب من ألغز بن مذكر، ثم آل حاتم بن أحمد "آل عمران بن الفضل"، فاستمر حكم الأسر الثلاث لمدة ٩٣ سنة (٤٩٢-٥٩٧هـ)، وبعد زوال مُلك

[1] البيت لأبي أذينة يحرض به الأسود بن المنذر اللخمي على قتل آل غسان الذين قتلوا أخاه وأولها:
ما كل يوم ينال المرء ما طلبا ولا يسوغه المقدور ما وهبا

[2] تاريخ اليمن السياسي ، محمد يحي الحداد.

الحاتميين ظلت بعض الحصون تابعةً للأسر الملكية السابقة، وكان عقِب هذه يُنعتون بلقب "السلطان" أو "الأمير" حتى آخر ذكر لهم في اليمن.

آل حاتم بن الغشم الهبري (٤٩٢-٥١٠هـ):

يُنسب آل الغشم إلى الغشم بن أحمد بن منصور، من بني أحزم من هبرة بن مذكر بن يام[١].

لم تلق المصادر الضوء الكافي حول تاريخ هذه الأسرة قبل سيطرة الملك حاتم بن أحمد بن الغشم على صنعاء سوى بعض المعلومات المتضاربة حول حاتم، فقيل أنه كان حاكم الدملؤة[٢]، التي أصبحت فيما بعد في قبضة الدولة الزريعية اليامية، وقيل إنما كان نائبًا للملك الصليحي في عدن بجانب بني معن، وقيل أن حاتم قد تولى حكم صنعاء بعد عزل القاضي عمران بن الفضل اليامي.

على الرغم من ذلك فإن جميع المصادر متفقة أنه استولى على صنعاء سنة ٤٩٢هـ ثم أعانته همدان على ذلك، نظرًا لما تميَّز الملك به من صفات الحزم والشجاعة والنبل والحصافة، فقد كان عظيم الشأن ومن أهل الكفاءة المعدودين، وبسيطرة حاتم بن الغشم على صنعاء أصبحت ولاية مستقلة تحت حكم آل الغشم الهبريين، ولم ترد الكثير من الأخبار في فترة حكمه،

---

[١] مخطوط روضة الألباب وتحفة الأحباب، ابن المؤيد تـ١٠٣٠هـ، ٤٠٥٧م.ك. مج١.

[٢] المقحفي، إبراهيم أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، (٢/١٥٩٨).

سوى أنه ضبط أمور مملكته وحافظ على علاقة طيبة مع همدان، مستعينًا في أمره بأبنائه الثلاثة، عبدالله ومحمد ومعن.

ثم تولى ابنه عبدالله بن حاتم الملقَّب بالشاب العادل حكم المملكة، وقد استطاع كأبيه أن يحافظ على علاقة طيبة مع همدان، وسعى إلى توحيد كلمتهم وحال دون اختلافهم، مات مسمومًا سنة ٥٠٤هـ في ظروف غامضة، فتولى أخوه الملك معن بن حاتم، وأثناء حكمه تجبَّر على همدان وقسى عليهم، فشمل ظلمه كثير من سكان مملكته وأعيانها، وكان سبب تجبّره هو اتهامهم بقتل أخيه بالسمّ، وفي سنة ٥١٠هـ اجتمع رؤساء همدان عند القاضي أحمد بن عمران بن الفضل الذي عُرف بعلمه ورجاحة عقله فأجابهم ثم عزل الملك معن بن حاتم عن عرش أبيه، وعيَّن السلطانين الأجلَّين هشام بن القبيب وأخيه حماس بن القبيب على مُلك الدولة.

آل القبيب بن الربيع (٥١٠-٥٣٣هـ):

تُنسب هذه الأسرة إلى القبيب بن الربيع بن الفضل بن علي بن أبي زيد بن المعمر بن الصعب بن الفضل بن عبدالله بن سعيد بن الغوث بن ألغز بن مذكر بن يام.

بعد تولي السلطان هشام بن القبيب الحكم، يسانده في ذلك أخيه السلطان حماس بن القبيب، استقرت المملكة وقد أحسن السلطان هشام بن القبيب

الاضطلاع بالمسؤولية، إلى أن توفي سنة ٥٢٢هـ، فانفرد أخوه السلطان حماس بن القبيب بالأمير وبعد وفاته سنة ٥٢٧هـ، تولى ابنه حاتم بن حماس بن القبيب، فكان أعظم بني القبيب وأجرؤهم حيث غزا قبيلة جنب الكبرى وقتل منهم الكثير وذلك بسبب العداء القبلي بين الطرفين[١]، وعندما حضرته الوفاة جمع إخوته وحضهم على الألفة والتعاون، ولكنهم تفرقوا بعد ذلك وسنذكر هذا الخبر في ترجمة السلطان حاتم بن حماس إن شاء الله تعالى.

ثم بعد أن تفرق بنو القبيب امتنعت عنهم همدان، فضعف أمرهم وساد بينهم العداء، فقصدت همدان السلطان الأجل حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل سنة ٥٣٣هـ.

آل حاتم بن أحمد" آل عمران بن الفضل"(٥٣٣-٥٨٥هـ):

بعد أن تنازع آل القبيب فيما بينهم حول من يتولى السلطة في صنعاء بعد موت حاتم بن الحماس، اجتمع زعماء قبيلة همدان سنة ٥٣٣ هـ، وفضلوا اختيار حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل اليامي الملقب السلطان الأجل حميد الدولة، نظرًا لما يتصف به من النبل والشهامة والكفاءة والدهاء والكرم والتضلع في اللغة والأدب وحافظاً لأيام العرب له معرفة تامة بالطب والنجوم وسيداً في همدان، فضلاً عن كونه من بيت رئاسة وعلم، فجدُّه القاضي عمران بن الفضل، ووالده القاضي أحمد بن عمران.

---

[١] الخزرجي، العسجد المسبوك، ص٧٣، وفي غاية الأماني ج١ ص٢٤٩، وفي تاريخ اليمن للحداد، ج٢ ص٣٢١، العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني ج١ ص١٥٨.

لذلك طلب زعماء قبيلة همدان أن يتولى أمر المملكة، فقبل الأمر وسار إليها ومعه سبعمائة فارس من همدان فاستولى عليها واستقر بها سلطاناً سنة ٥٣٣ هـ، فسارع إلى ملء الفراغ الذي كانت تعيشه سدة الحكم بصنعاء. فعمل على توطيد دعائم دولته وتأمين مجال نفوذها واضطلع بمسؤولياته على أكمل وجه، وكوَّن الأسرة الملكية الثالثة من أسر قبيلة يام.

ومن أهم الأحداث التي واجهت السلطان حاتم بن أحمد هي صراعه مع الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان حول صنعاء، فقد تزامن قيام دولة بني حاتم بن أحمد في صنعاء ، ظهور الإمام المتوكل على الله أحمد الذي دعا لنفسه بإمامة الزيدية سنة ٥٣٢ هـ، و استجابت لدعوته بعض المدن والقبائل، فبادر السلطان حاتم إلى ارسال الكتب إلى الإمام أراد بها دخول الإمام في طاعته لكن الإمام رفض ذلك، فرد السلطان حاتم على الإمام بكلام جاف، لذلك نشأ عداء بين الطرفين و حاول كل منهما توسيع نفوذه على حساب الآخر، وفي عام ٥٤٥هـ تحوّل العداء إلى صراع عسكري حيث توجه الإمام المتوكل إلى صنعاء للسيطرة عليها بطلب من الشيخ محمد بن عليان، فتحرك بقواته إلى منطقة عمران و عسكر في حصن بيت بؤس جنوب صنعاء بانتظار الفرصة المناسبة للسيطرة عليها، فبادر الإمام بإرسال أحد أصحابه إلى صنعاء ليستطلع له أخبارها، ويعمل على تحريض أنصارهم من الزيدية

بها، فلما علم السلطان حاتم بأمر الرسول، طلب حضوره إليه و أعطاه رسالة للإمام أحمد يلومه فيها على تصرّفه هذا، و يخبره أن الاستيلاء على صنعاء ليس سلماً ولا سهلاً ، ولكنه بسفك الدماء، وخوض القتال وإظهار الشجاعة ، فهل لديه استعداد لذلك، و لما اطّلع الإمام على الرسالة، قال نأخذها إن شاء الله.

وعلى أثر ذلك بدأت المعارك بين الطرفين، حيث توجه الإمام أحمد نحو صنعاء و عسكر في منطقة قريبة من صنعاء فدار قتال شديد بين الطرفين في الموضع المذكور انتهى بهزيمة جيش السلطان حاتم بن أحمد، و تقدم الإمام بجيشه نحو صنعاء الأمر الذي أجبر السلطان حاتم على مغادرتها إلى منطقة الرحبة واستقر بها و دخل الإمام صنعاء فأقبل الناس إليه من كل جهة وأقام الشعراء بين يديه بالتهاني، ثم ولّى عليها أحد أتباعه و قفل راجعًا إلى حصن بيت بؤس، وأثناء وجوده هناك ومع نشوة النصر انصرفت جموع الإمام و عادت إلى بلادها فانتهز السلطان حاتم الفرصة وزحف في نفس العام أي ٥٤٥هـ بمن معه من قبيلة همدان و استرد صنعاء من الإمام.

وقيل بعد فترة قصيرة نشأ خلاف بين السلطان حاتم والإمام فانتقل السلطان حاتم إلى حصن الظفر جنوب شبام كوكبان وتجمع حوله عدد كبير من أنصاره و اتجه إلى صنعاء فدار قتال شديد بين قواته و قوات الإمام تحت حصن براش، و لم تحسم هذه المعركة الصراع بين الطرفين، ثم دارت بينهما

عدة معارك منها شعب الجن، وتلتها معركة أخرى في الرحبة و أخرى في الرغام، وكانت الحرب سجالاً، ولما رأى الإمام إصرار السلطان حاتم و قبيلة همدان على استرداد صنعاء سار إلى ذمار واستعان بقبيلة جنب فأعانوه بثلاثمائة فارس، فأتجه إليه حاتم في خمسمائة فارس وثلاثة آلاف راجل من همدان وسنحان فالتقى الجمعان بموقع يقال له القليس بالقرب من ذمار فدارت معركة عنيفة أسفرت عن هزيمة أصحاب الإمام. فلما علم الإمام بذلك أرسل إليهم سنة ٥٤٦هـ جمعاً من قبيلة جنب فحاربوا السلطان حاتم و هزموه، ثم اجتمعت قبيلة همدان بكاملها في نفس السنة حول السلطان حاتم ، واتجهوا لمحاربة الإمام فدار قتال شديد بين الطرفين أسفر عن هزيمة جيش الإمام ودخول السلطان حاتم صنعاء والسيطرة عليها، ثم ظل السلطان حاتم مسيطرا على صنعاء ولم يتمكن الإمام من استعادتها رغم المحاولات المتكررة، لذلك رأى الطرفان سنة ٥٤٨هـ عدم جدوى الحرب بينهما، فاتفقا على المصالحة والتقى الاثنان في حصن بيت الجالد أو شمال صعدة وتم الاتفاق على إيقاف القتال بينهما.

على الرغم من تلك المصالحة إلا أن الحرب تجددت بين الطرفين، ففي سنة ٥٥٠ هـ قام الإمام المتوكل بالتوجه نحو منطقة ذمار بجيش بلغ تعداده ثلاثة آلاف مقاتل، ومنها سار إلى صنعاء لمحاربة السلطان حاتم الذي استعد أيضاً لمواجهته وخرج من صنعاء فالتقى الطرفان في منطقة الشزرة الواقعة جنوب شرقي صنعاء و دار بها قتال شديد بين الطرفين أسفر عن انتصار

الإمام المتوكل وانسحاب جيش السلطان حاتم إلى صنعاء و التحصن بها و تبعه الإمام إلى أسوار صنعاء إلا أنه لم يتمكن من دخولها، فانسحب إلى حصن بيت بؤس، وفي سنة ٥٥٢ هـ سار الإمام المتوكل بجيشه نحو صنعاء للسيطرة عليها و دارت معركة بين الطرفين وقد انتهت بهزيمة السلطان حاتم و خروجه من صنعاء و دخول الامام المتوكل إليها، ثم تمكن السلطان حاتم في السنة نفسها من تجهيز جيش و توجه به إلى صنعاء و التقى بالإمام ودارت معركة انتهت بهزيمة الإمام المتوكل و انسحابه إلى منطقة الظاهر و دخول السلطان حاتم صنعاء، ثم توجه إلى منطقة الظاهر لمحاربة الإمام الذي غادرها راجعاً إلى صعدة فتعقبه السلطان حاتم وسيطر على عدد من الحصون المهمة التابعة للإمام ، وما زال يتعقبه حتى وصل إلى منطقة صعدة و دخلها ثم عاد السلطان إلى صنعاء، ولم يحاول الإمام المتوكل بعد ذلك السيطرة على صنعاء و انشغل بإدارة أمور دولته حتى وفاته سنة ٥٦٦هـ، توفي السلطان حاتم بن أحمد اليامي و تولى ابنه السلطان علي بن حاتم امور الحكم في صنعاء.

بوفاة السلطان حاتم بن احمد آل امر صنعاء إلى ولده علي بن حاتم الملقَّب بالوحيد فتولى مقاليد الحكم وبايعته جميع قبائل همدان وأذعنت له غيرها من القبائل اليمنية. لكن سرعان ما تغيّر موقف بعض قبائل همدان و أعلنت التخلي عن مناصرته و تجمع منهم سبعمائة فارس، و قصدوا محمد بن الحماس بن القبيب -أحد أمراء يام من الأسرة الثانية- إلى منزله في حارة

القطيع بمدينة صنعاء و نصّبته سلطانا على صنعاء ، منتهزه فرصة خروج السلطان علي منها إلى منطقة الروضة وقيل إلى حصن الضهر، وما أن علم السلطان علي بالأمر إلا وجهّز حملة مكونة من مائة فارس و قصد صنعاء وعندما وصلها تفرقت جموع همدان وتراجع اكثرهم، إلا عدد قليل منهم تحصن داخل المدينة فقاتلهم السلطان علي في شوارعها قتالًا شديدًا و هزمهم، و قُتل أخوه عمران بن حاتم في هذه المعركة و قيل أنه عندما دخل السلطان علي صنعاء أخذ أحوه عمران بن حاتم عددًا من المقاتلين و قاتل المتمردين في شوارع صنعاء و قد أصيب أثناء ذلك بسهم و توفى من وقته فاضطربت لذلك قبيلة همدان و أهل صنعاء خوفًا من بطش السلطان وطلبه الثأر لأخيه، إلا أن السلطان أمر منادياً ينادي في صنعاء يخبرهم أن السلطان علي قد وهب لهم دم أخيه عمران، ودعاهم إلى حضور مراسيم دفنه، الأمر الذي حول موقف همدان المضطرب لمقتل عمران إلى سكينة و اطمئنان فدانوا له بالطاعة و الولاء فقويت شوكة السلطان علي، ثم أمر بإخراج محمد بن الحماس و آل القبيب بشكل عام من صنعاء[١]، فسعى جاهداً إلى توطيد نفوذ دولته ودعائم ملكه فأخذ في تحصين معاقله، ثم مضى يوسع حدود دولته فسيطر على حصون ذمار وكوكبان و العروس والظفر وحصن ذمرمر وحصن بكر وعلى منطقة الظاهر والجوف وحجة وشبام وحراز وغيرها كثر و عين عليها الولاة.

---

[١] وربما كان هذا خروجهم إلى نجران، حيث أن قبائل هشام الغزية من عقب آل القبيب، وهم العجمان والوعلة.

لكن الأوضاع ما لبثت أن اضطربت من جديد على السلطان علي سنة ٥٦٤هـ عندما مال الكثير من قبائل همدان إلى الداعي الفاطمي حاتم بن ابراهيم الحامدي المقيم في شبام حراز، الأمر الذي أدى إلى انقسام قبائل همدان بين مؤيدين للداعي حاتم الحامدي الذي كان يدعو إلى الفاطميين ، و بين مؤيدين للسلطان علي الذي قطع الدعوة للفاطميين واستقل بذاته، فعاتب السلطان علي الداعي حاتم الحامدي على هذا الأمر وطلب منه عدم تفريق همدان، و ما زال السلطان على يلاطفه، حتى قام الداعي الحامدي بتوسيع نشاط دعوته والسيطرة على عدد من الحصون التابعة للسلطان علي، عندئذ قرر السلطان علي الخروج لمحاربة الداعي الحامدي، وكان قائد جيوش الحامدي أحمد بن الحبير بن جرير الهبري من هبرة من يام، فانقسمت يام كذلك بين مناصري السلطان ومناصري الداعي وكان خروج السلطان إلى مشايخ هبرة في لؤلؤة وريعان[١] ، مما اضطر بالداعي حاتم إلى التوجه إلى حصن شبام كوكبان ، فتبعه السلطان علي وحاصر الحصن و أجبر الداعي الحامدي على طلب الأمن من السلطان فأمنه وأسكنه حصن الحطيب ولم يقم بعد ذلك بأي نشاط سياسي وفاته في السادس عشر من شهر محرم عام ٥٦٩هـ.

وفي سنة ٥٦٥هـ توجه السلطان علي لمحاربة سلاطين بني سلمة بن الحسن الكندي أصحاب حصن بيت بؤس بسبب مساعدتهم للإمام المتوكل في

---

[١] تحفة القلوب، ص٢١٤

السيطرة على صنعاء في عهد أبيه ودارت معركة بين الطرفين انتهت بهزيمة بني سلمة وتخليهم عن حصن بيت بؤس للسلطان علي[1].

أما سياسة السلطان علي تجاه الدولة الزيدية في صعدة، فقد اتسمت بالمسالمة والمساعدة ونلاحظ ذلك من خلال مساندته للإمام المطهر بن الإمام المتوكل على الله أحمد عندما طلب من السلطان علي سنة ٥٥٧هـ مساعدته للتخلص من أمراء آل الهادي، الذين سيطروا على صعدة مركز دولة الإمام المطهر بن المتوكل على الله، فتحرك السلطان علي على رأس جيش من قبيلة همدان قاصدًا صعدة وعندما وصلها دارت معركة بين الطرفين انتهت بهزيمة آل الهادي واسترجاع صعدة وتسليمها للإمام المطهر ثم قفل السلطان علي راجعاً إلى صنعاء.

وكذلك ساندهم سنة ٥٦٥هـ عندما استنجد به أولاد الإمام المتوكل على الله أحمد لإطلاق سراح ابيهم الذي تم أسره قبل الأشراف القاسميين، وقد اختلفت الروايات في طريقة وقوعه في الأسر فقيل ان الإمام المتوكل أحمد قد خرج في قلة من رجاله ذاهباً إلى منطقة الظاهر، فاستغل ذلك القاسميون فهجموا على الإمام أحمد عند وصوله إلى تلك المنطقة وألقوا القبض عليه وسجنوه في حصن أثافت ومهما يكن فقد أرسل السلطان علي كتاباً إلى الأشراف القاسميين يطلب منهم إطلاق سراح الإمام المتوكل فأطلقوا سراحه، فذهب الإمام المتوكل إلى منطقة حوث وأقام بها إلى أن توفي. واستمر

[1] العسجد المسبوك، ص٨٢، غاية الأماني، ج١، ص٣١٥-٣١٨

السلطان علي مسيطراً على صنعاء وعدد كبير من الحصون المحيطة بها حتى عام ٥٦٩هـ حيث شهدت بلاد اليمن في هذا العام دخول الأيوبيين بقيادة توران شاه مبعوثاً من قبل أخيه صلاح الدين الأيوبي للسيطرة على بلاد اليمن والقضاء على جميع القوى السياسية بها.

ما إن وصل توران شاه إلى بلاد اليمن سنة ٥٦٩هـ حتى بادر بالسيطرة على زبيد وبعدها عدن ثم توجه إلى ذمار وسيطر عليها ثم غادرها قاصدًا صنعاء، فاعترضته قبائل جنب و دار بين الطرفين معركة انتهت بهزيمة قبائل جنب، الأمر الذي جعل السلطان علي يدرك بعدم قدرته على مواجهة توران شاه ، فخرج من صنعاء و استقر في حصن براش - الواقع شرق صنعاء على جبل نقم المطل على صنعاء - و امر اتباعه بهدم سور صنعاء، ويبدو أنه قصد من تخريب السور أن تكون القوات الأيوبية في صنعاء مكشوفة و بدون حاجز يحميها من الإغارة عليها إذا سمحت الظروف لابن حاتم بذلك والاستيلاء عليها طالما أصبحت غير محمية بسور.

وصل توران شاه إلى صنعاء في الثامن عشر من محرم سنة ٥٧٠هـ فأقام بها أياما ثم غادرها إلى زبيد، وقد استغل السلطان علي عودة توران شاه إلى زبيد وعاد بدوره إلى صنعاء وعمل على استكمال تخريب سور المدينة حتى يسهل عليه استردادها إذا ما استولى عليها توران شاه مرة أخرى. واستمر توران شاه في السيطرة على مدن وحصون بلاد اليمن حتى سنة ٥٧١هـ حيث سيطر على

واحد وثمانين حصناً ومدينة ثم قفل راجعاً إلى بلاد الشام وأناب عنه نوابًا من أتباعه لإدارتها. وما أن توفي توران شاه سنة ٥٧٧ هـ إلا وأعلن نوابه في بلاد اليمن الخروج عن طاعة الأيوبيين وامتنعوا عن إرسال الأموال لهم واستقلوا بمواضعهم، الأمر الذي دفع بصلاح الدين الأيوبي سنة ٥٧٩هـ إلى إرسال حملة بقيادة أخيه سيف الإسلام طغتكين لإعادة سيطرتهم على بلاد اليمن والقضاء على نوَّاب توران شاه وقد تمكن طغتكين من تحقيق أهداف الحملة، ودانت له البلاد بالطاعة والولاء ولم يبق أمامه سوى السلطان علي صاحب صنعاء. فتحرك طغتكين إليه في أواخر سنة ٥٨٢ هـ وسيطر على حصن حب ثم تابع تقدمه إلى مدينة ذمار و سيطر عليها سنة ٥٨٣ هـ، فأصبح الطريق مفتوحًا أمامه للتقدم إلى صنعاء، الأمر الذي دفع السلطان علي بهدم سور صنعاء ونقل ما كان له فيها إلى حصن براش و استعد لمواجهة طغتكين لكنه فضّل عدم الدخول في حرب معه و سعى إلى عقد صلحاً ، فأرسل السلطان علي ابن عمه القاضي حاتم بن أسعد بن عمران بن الفضل إلى مدينة ذمار للقاء طغتكين و عقد اتفاق معه ودارت مناقشات بين الطرفين انتهت بعقد مصالحة تعهَّد بها طغتكين بعدم السيطرة على صنعاء و العودة إلى تعز، مقابل ان يدفع السلطان علي ثمانين الف دينار و مئة حصان في السنة إلى طغتكين فقبل السلطان علي بذلك وهكذا سادت العلاقات الودية بين الجانبين، وفي سنة ٥٨٤هـ أرسل السلطان علي أخوه بشرًا إلى طغتكين لتجديد الصلح بينهما لسنة أخرى وما إن وصل بشر إلى طغتكين حاول الأخير

ان يستميل بشر إلى جانبه لإضعاف جبهة السلطان علي فعرض عليه حكم صنعاء و بلاد همدان مقابل مساعدته بالسيطرة على صنعاء، فرده السلطان بشر وقال إن هذا عار عليّ، الأمر الذي دفع طغتكين إلى كسب ود بشر فأسقط عشرين الف دينار و عشرين حصانا من المبلغ الذي التزم به السلطان علي في الاتفاق و تكون مدة الاتفاق عاماً واحداً. وما أن انقضت مدة الصلح نهض طغتكين بالعساكر متوجهاً إلى مدينة صنعاء وعند وصله إلى ذمار ارسل السلطان علي ابن عمه القاضي حاتم بن اسعد لتجديد المصالحة بينهما فوافق طغتكين على المصالحة بشرط ان يزيد على الاتفاق السابق ثلاثين الف دينار و ثلاثين حصاناً ، فلما ابلغ القاضي حاتم السلطان علي بشروط الاتفاق رفضها الأخير وطلب من القاضي ابلاغ طغتكين بذلك ؛ وعاد القاضي إلى طغتكين و ابلغه برفض السلطان علي للمصالحة، لذلك توجه طغتكين إلى حصن أشيح الواقع جنوب صنعاء فسيطر عليه دون قتال ، ثم تابع فتوحاته فاستولى على بلاد آنس جنوبي صنعاء ثم سيطر على جبل الشرق و منه عاد إلى جهران، و نظراً لذلك غادر سلاطين بني حاتم صنعاء إلى الجبال المحيطة بها متخذين من حصونها مقرًّا لهم . فاستغل طغتكين هذا الأمر وتوجه إلى صنعاء وتمكن من السيطرة عليها في شهر شوال سنة ٥٨٥ هـ دون قتال وهكذا انتهى دور الأسرة الثالثة من قبيلة يام في المملكة الهمدانية إلا أنه لم ينتهي دورهم السياسي في اليمن فبعد أن سيطر طغتكين على صنعاء أقام بها ثلاثة أيام وعيَّن عليها نائباً له وغادرها عازماً القضاء على

سلاطين آل حاتم، فتوجه إلى حصن الفص حيث يتمركز عمرو وعلوان أبناء السلطان بشر بن فدخل الحصن ثم أسرهما، ثم عمد بعد ذلك طغتكين إلى إرسال نسائهم وأطفالهم وخدمهم إلى حصن ذمرمر مركز السلطان علي. وفي هذه الأثناء نزل علي بن بشر بن حاتم من حصن براش مغيراً على مدينة صنعاء ، لكن الحامية الأيوبية التي كانت بها تمكنت من مواجهته و أسره، و بذلك أصبح أبناء بشر بن حاتم الثلاثة: عمرو و علوان وعلي أسرى عند الأيوبيين، أما طغتكين فقد توجه في هذه الاثناء إلى حصن الظفر وبه سالم بن علي بن حاتم فاستولى على الحصن بعد قتال عنيف انتهى بأسر سالم بن علي إلا أن طغتكين أطلق سراحه فالتجأ سالم إلى حصن كوكبان التابع لهم ورغم نداءات الاستغاثة التي وجهها عمرو بن بشر بن حاتم لأبيه ليخلصه و اخوته من الاسر الا ان الاخير ظل عاجزاً عن التصدي للجيش الايوبي وفك اسر أبنائه.

واصل طغتكين توسعه فتوجه إلى حصن كوكبان وبه عمرو بن علي بن حاتم فحاصره ورماه بالمنجنيق حتى أخربه، فلما أيقن عمرو بانه هالك أبدى استعداده لتسليم الحصن مقابل أن يكون حصن العروس له فوافق طغتكين على ذلك فانتقل عمرو بمن معه إلى حصن المذكور وتسلم طغتكين حصن كوكبان في ذي الحجة من سنة ٥٨٥هـ. وبذلك لم يبق لبني حاتم سوى حصن ذمرمر وهو من أحصن معاقلهم و امنعها وكان به السلطان علي بن حاتم وأخوه السلطان بشر فتوجه إليه طغتكين سنة ٥٨٦ هـ، وحاصره وأحكم

الحصار عليه إلا أن السلطان علي تمكن من الصمود أربع سنوات، حتى بدأ الضجر و التعب على الفريقين عندئذ لم يجد طغتكين بداً من مصالحة السلطان علي، و تم التوصل إلى اتفاق سنة ٥٩٠هـ بألا يكون تحت سيطرة السلطان علي أي حصن او مدينة و يسلم حصن ذمرمر إلى طغتكين بالمقابل يتكفل الأخير بدفع مبلغ خمسمائة دينار و خمسمائة كيلة من الطعام سنويا للسلطان علي وعلى هذا الأساس تسلم طغتكين حصن ذمرمر ولم تشر المصادر التي اطلعنا عليها أين ذهب السلطان علي بعد تسليمه الحصن وقيل إنما توصل الطرفان إلى اتفاق نصّه أن يدفع السلطان علي كل سنة مبلغ خمسمائة دينار وخمسمائة كيلة من الطعام إلى طغتكين ولا يكون له أي نفوذ ببلاد اليمن سوى حصن ذمرمر، فلما تم الاتفاق أطلق طغتكين على السلطان علي بعض أملاكه بقصد احتوائه و الحد من خطورته ويبدو أن هذه الرواية أقرب إلى الصواب ثم قفل راجعاً طغتكين إلى تعز و أصبح سيد بلاد اليمن بلا منازع حتى وفاته في السادس والعشرين من شوال سنة ٥٩٣هـ، ويقال أنه مات مسموماً و تولّى ابنه اسماعيل بن طغتكين و بمجرد أن تولى إسماعيل شؤون الحكم في اليمن أعلن السلطان علي الخروج عن طاعته، و سعى إلى شراء حصون من الحاميات الأيوبية، فاشترى حصون كوكبان وبكر وظفر، كما مال إلى مناصرة الإمام عبد الله بن حمزة الملقب بالمنصور بالله الذي كان يسعى للسيطرة على صنعاء، و اتفق معه على استخدام حصونهم المحيطة بصنعاء مقابل أن يكون حكم صنعاء مناصفة بينهما وأن تعاد لهم

حصونهم بعد الاستيلاء على صنعاء فقبل الإمام بذلك و تمكن من السيطرة على صنعاء سنة ٥٩٤ هـ، و رفض مشاركة السلطان علي في إدارتها مما جعله يحجم عن مناصرة الإمام ويميل إلى التعاون مع إسماعيل بن طغتكين وظل في حصنه ذي مرمر حتى وفاته سنة ٥٩٧هـ.[١]

دوريام في قيام المملكة الهمدانية، وقيام الزريعيين:

يُرى بوضوح الدور الهام الذي قامت به قبيلة يام في قيام الدولة الصليحية والتي كانت أولى الدول الهمدانية في الإسلام، وفي عصر الدولة الصليحية نشأت الدولة الزريعية اليامية الهمدانية، فبعدما تغلَّب الملك المكرم الصليحي على بني معن الحميريين في عدن، ولَّى عليها العباس ومسعود ابنا الكرم بن زريع وهم من بني الذئب من جشم بن يام[٢]، ومن بني الذئب قبائل بني عامر بن ذهل، التي تشمل حاليًّا قبيلة الصقور وقبيلة زبيد من يام، وكان أول خبر لهم ما ورد عن شخص نُسب إلى بني عامر من بني الذئب: (محمد بن عبيدالله العامري من بني ذئب)، وكان قد ذُكر في خبرٍ جرى في وادي نجران في سيرة الهادي[٣].

[١] صنعاء تحت حكم بنو يام(٤٩٢-٥٨٥هـ) م.د. محمد حسين إبراهيم، (بتصرف).
[٢] تاريخ ابن الوردي، (ص٥١٣)
[٣] سيرة الهادي إلى الحق،(ص٣٧٣).

وكان الزريعيون ملزومين بتقديم إتاوة مفروضة عليهم من السلطان الصليحي حتى عصر الملكة الحرة أروى الصليحية[1]، وقد خاضت قبائل يام الحروب لصالح الدولة الصليحية وقمعت الكثير من الثورات وثبتت أركان المملكة سواءً بقيادة القاضي عمران بن الفضل اليامي الذي قُتل وهو يحارب أعداء الصليحيين وذريته أو بقيادة السلاطين من بني زريع، وفي نهاية عصر الدولة الصليحية وبداية ضعفها وتفككها، غزت خولان ذي جبلة معقل الصليحيين فاستغل الزريعيون الفرصة واستقلوا عن الدولة الصليحية واستمر حكمهم في جنوب اليمن لستين سنة مستقلة، مدعومين بالتجارة الدولية، وتشير السجلات إلى سلع فاخرة من المنسوجات والعطور والزخارف قادمة من أماكن مختلفة إلى السلطنة الزريعية كشمال إفريقيا ومصر والعراق وعمان وكرمان والصين[2]. وبعد وفاة الملكة الحرة وزوال سلطان الصليحيين، احتفظ الفاطميون في القاهرة بتمثيلهم في عدن، مما أضاف المزيد من الهيبة على الزريعيين.

امتد نفوذ الزريعيين في أقصى توسع لدولتهم من مدينة تعز اليمنية إلى مدينة ظفار العمانية، وقد حصلت معارك بين الياميين في الدولة الزريعية بين نسل السلطان المسعود ونسل أخيه السلطان العباس، انتهت بهزيمة بني

[1] أروى بنت أحمد الصليحي ملكة الدولة الصليحية في اليمن وهي أول ملكة في الإسلام وتلقب بالسيدة الحرة وغلب على اسمها في كتب التاريخ. ولدت في مدينة جبلة وأمها رداح بنت الفارع بن موسى الصليحي زوجة المكرّم أحمد بن علي الصليحي ملك اليمن. ونشأت في رعاية أسماء بنت شهاب زوجة علي بن محمد الصليحي مؤسس الدولة الصليحية، بعد وفاة والدها أحمد الصليحي وزواج والدتها من عامر بن سليمان الزواحي. فوّض المكرم الأمور إلى زوجته أروى، فكان أول ما قامت به، بعد أن غادرت صنعاء، أن اتخذت مقرها في قصر شيده زوجها في حصن بجبلة ونقل إليه ذخائره وقامت بتدبير المملكة خير قيام وبسطت سلطانها، وكانت الرسائل التي يبعث بها المستنصر بالله الفاطمي إلى اليمن تصدر باسمها. توفيت سنة ٥٣٢هـ

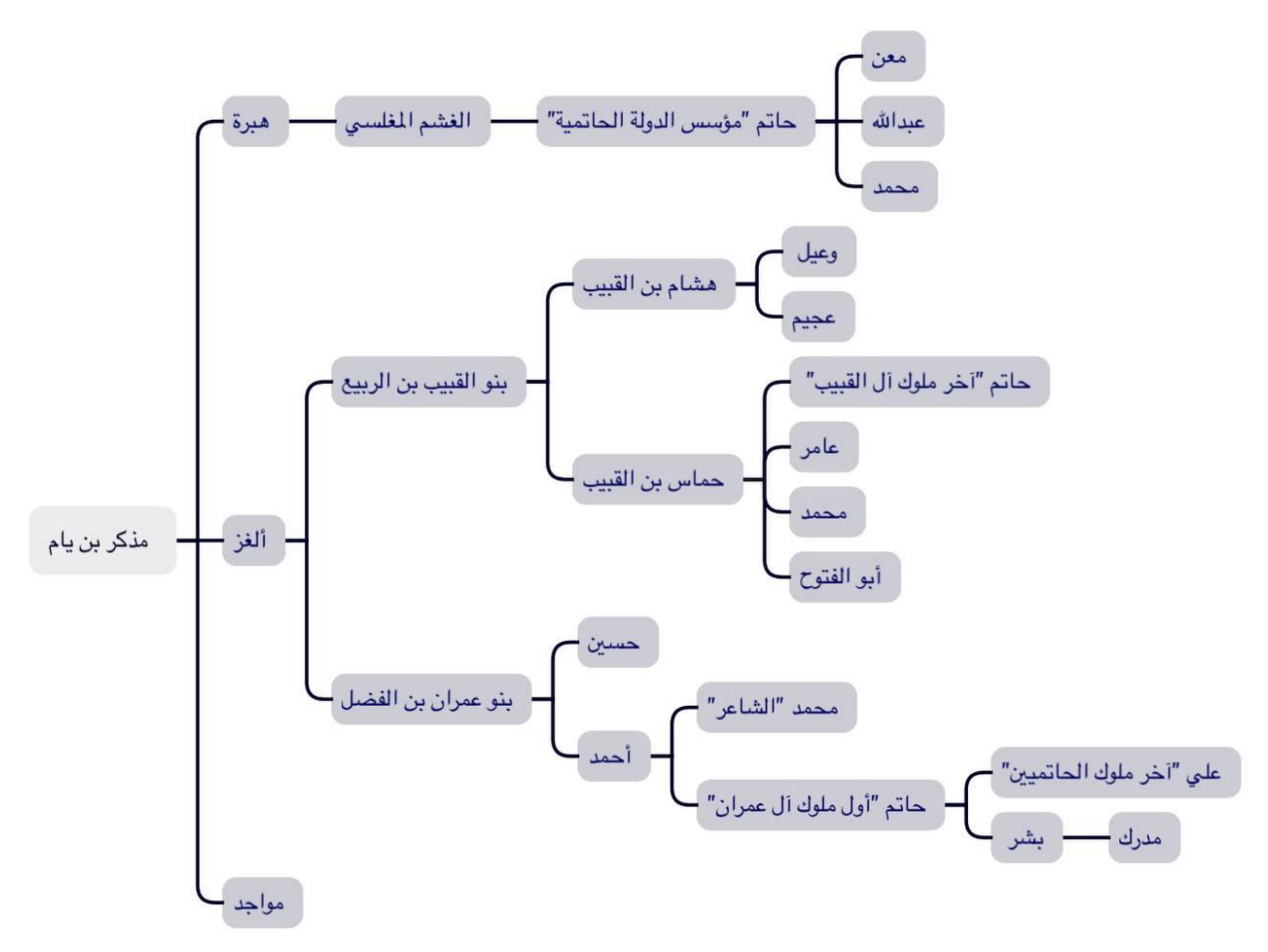
[2] Robert W. Stookey, Yemen: The politics of the Yemen. Arab Republic, Boulder, 1978, P.96

المسعود، ويقول الشاعر علي بن زياد المازني-وهو من شعراء السلاطين الزريعيين- في هذه الفتنة ونتيجتها:

خَلَتِ الزعازِعُ من بني المسعود   فَعهودُهم عنها كَغيرِ عُهود
حلَّت بِها آل الزريعَ وإنَّما   حلّت أسودٌ في مقامِ أسود

ظلت الدولة الزريعية قائمةً وحسنَ قيامها وسُكَّت النقود بأسماء سلاطينها وازدهرت ونمت وخاضت المعارك والحروب الدفاعية والتوسعية أو نصرةً لأبناء عمومتهم من بني حاتم حيث تحالف الزريعيين والحاتميين في بعض المعارك لحرب عدو مشترك، وبعد سقوط الفاطميين في مصر وقيام الدولة الأيوبية، دخل الأيوبيون اليمن بقيادة الأمير توران شاه، واحتل عدن وأعدم آخر حكام الدولة الزريعية (ياسر بن بلال)[١] عام ٥٧١هـ، وانقطعت بعد ذلك أخبار بنو زريع.

[١] وقد كان وزيرًا لآل زريع ولا ينتسب لهم.



مشجرة توضيحية لأسماء سلاطين الدولة الحاتمية وصلة القربى بينهم

١ - عمران بن الفضل اليامي

هو عمران بن الفضل بن علي بن أبي زيد بن المعمر بن الصعب بن الفضل بن عبدالله بن سعيد بن الغوث بن ألغز بن مذكر بن يام بن أصبى بن دافع بن مالك بن جشم الأوسط بن حاشد بن جشم الأكبر بن خيران بن نوف بن همدان، هكذا ساق نسبه الملك الأشرف في الطرفة، وفي عدة الآباء إلى ألغز قصر والله العالم.

كان عمران بن الفضل من أكابر الدولة الصليحية وأعيانها المشاهير الذين يشار إليهم بالبنان، وأحد أقطابها الذين قام على أكتافهم صرح هذه الدولة وأحد الذين انتشلوها بعد أن أوفت على الانهيار، وكان له الطول والفضل في مواقف عديدة، كان يُلقَّب بالقاضي عمران لفقهه وعلمه وورعه ومع هذا فكان يضم بين بُرديه شاعراً مفلّقًا وخطيبًا مفوَّها وهِزبرًا جريئًا وجوادًا مِتلافا. وكان لصدراته وتقدَمه يجله الملك الكامل وولده الملك المكرم وإذا دخل على الملك ينزل عن السرير ويقوم للقائه ويأخذه بيده فيصعد به، ولما عزله المكرم عن صنعاء عاتبه مع الأمير سبأ بن أحمد بشعرٍ منه:

ولا تجرحا بالعزلِ أكبادَ معشرٍ — إذا غضبوا عُلَّ القنا وتكسَّرا

وله أخبار حسنة وله ذرية طيبة امتازت بالنبوغ والعبقرية وتربعت كراسي المُلك زمنًا طويلًا، فحفيده السلطان حميد الدولة حاتم بن أحمد بن عمران

وولده السلطان المعظم علي بن حاتم بن أحمد بن عمران. قُتل القاضي عمران في وقعة الكظائم سنة ٤٧٩هـ.

ويقول أحمد بن جابر بن عفيف في الموسوعة اليمنية: " عمران بن الفضل من كبار رجال الدولة الصليحية، رافق مؤسسها علي بن محمد الصليحي، وكان ذراعه اليمنى في إنشاء وإرساء دعائم الدولة، واستمر دوره في عصر المكرم أحمد بن علي، ثم في عهد السيدة الحرة بنت أحمد. كان على قدر كبير من العلم والأدب، وذو شخصية قوية تتسم بالحزم والجرأة والحكمة، وكان في المعارك قائدًا عسكريًّا محنكًا، اشترك في معظم معارك التأسيس وحروب الدفاع عن الدولة وقمع أعدائها، وآخر حروبه كانت مع النجاحيين في عصر الملكة سيدة بنت أحمد. وفي معركة الكظائم من هذه الحرب قُتل عام ٤٧٩هـ وكان مقتله من بوادر تضعضع الدولة الصليحية. له شعر جيد ورسائل فصيحة".[١]

شعره:

رثاؤه للأمير الأعز محمد الصليحي: (الرمل)

عالَ صبري فراقُ ذي المجدَيْنِ ... وجفاني الكرى وأسهد عيني
صاح إن الندى ونجلِ عليٍّ ... سكنا في ضريحهِ لَحدَيْنِ
ما رأينا ولا سمعنا بقبرٍ ... قبل هذا مُضمَّنا شخصينِ
وعليٌّ لولا عليًّا وأسمـ ... ـاء ومنصورها وذو السيفينِ

[١] الموسوعة اليمنية المجلد الرابع (ك-ي)، (ص٢٢٠٥).

والتأسِّي بأحمد وبنيه وعليٍّ وشَبَّرٍ وحسينِ
لسكنتُ الضريحَ ورحتُ أرضًا غيرَ أرضي أهيمُ في الخافقينِ

أبيات في عتاب الملك المكرم والأمير سبأ بن أحمد الصليحي بعد عزله من ولاية صنعاء: (الطويل)

ولا تجرحا بالعزلِ أكباد معشرٍ إذا غضبوا علَّ القنا وتكسَّرا
فلو أنَّ مولانا مَعدٍّ أتاكما بعزلٍ تولى الكلُّ منَّا وأدبرا
فلا تفرِّقا من لقَّهُ والداكما وعودا إلى عَقْلَيْكُما وتَدبَّرَا
فإن أنتُما أنكرتُما مانَظَمْتُهُ فصدقي غدًا من طلعة الشمسِ أزهرا

بيتان منقطعان من قصيدةٍ في عتاب الملك المكرم الصليحي:

(الطويل)

أبابُ كُليبٍ إنني لَكَ هاجِرُ على أنَّني داعِ لِمولاكَ شاكِرُ
فلما بدِينَ بِبابهِ ابنَ هَبَالةٍ ومأذُونهُ نجمٌ فعِمرانُ كافرُ

ولم يدم خلافه مع الصليحيين، فبعد وفاة الملك المكرم، عاد القاضي عمران بن الفضل وحارب النجاحيين لصالح السيدة بنت أحمد في معركة الكظائم ٤٧٩هـ.

مقتله ووقعة الكظائم:

لما طالت على جياش النجاشي وأتعبته حرب العرب وخشي منهم الغَلَب، دبَّر الحيلة وزيره خلف بن أبي طاهر، وأرسل من يُشير على الأمير سبأ الصليحي بوصوله إلى زبيد، وقد كاتبه أعيان من فيها ببذل الطاعة وقد أخفوا الغدر وأسرّوا المكر، فاطمأن الصليحي إلى قولهم ورجاء صدقهم، فجمع جموع العرب وجاء إلى زبيد في ثلاثة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل، وكان جياش قد أعد الجموع واستنصر بالشريف يحيى بن حمزة بن وهاس[1] وكثير من زعماء جيوش جياش قد كاتبوا الصليحي غدرًا وكيدا، وهم كثير من الأشراف والعرب والعبيد، فحين وافاهم الأمير سبأ بن أحمد الصليحي وقع بينهم القتال وتبين له غدرهم، فقاتل هو والذين معه وكثر العبيد ومن انضم إليهم وذلك في يوم الجمعة الخامس من ذي الحجة سنة تسع وسبعين وأربعمائة في أيام الملك المكرم الأصغر، وقُتل الأميران قيس بن أحمد ومحمد بن مهنًّا الصليحيان، وحمل الشريف يحيى بن حمزة بن وهاس الحسني على القاضي عمران بن الفضل واختلفت بينهما طعنتان، مات القاضي عمران رحمة الله عليه من تلك الطعنة بعد أيام، وفي قتل عمران بن الفضل يقول يحيى بن حمزة بن وهاس:

ونجى الحجازيُّ الرئيسُ بطعنةٍ   نجلاءُ لها تحتَ القميصِ خِوارُ

---

[1] من أشراف تهامة عسير، ينتسبون إلى موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وهم أقارب لأشراف مكة، ولا تزال ذريتهم معروفة في تهامة عسير ومن قراهم صبيا وأبو عريش وحرض وضمد وغيرها (حسين الهمداني: الصليحيون).

ثأر القاضي عمران بن الفضل:

وقد قُتل الشريف يحيى بن حمزة بن وهاس على أيدي أحمد وحسين ابني القاضي عمران بن الفضل اليامي اللذين قصداه إلى بلده متنكرين وقتلوه واخذوا بثأر أبيهما.[1]

[1] نزهة الأفكار إدريس الأنف، (١/٦٣)، أيد الخبر صاحب الأنباء /دار ٤٣، قرة العيون في أخبار اليمن الميمون، (ص٢٦٧)

٢-حسين بن عمران بن الفضل:

وهو حسين بن عمران بن الفضل بن علي بن أبي زيد بن المعمر بن الصعب بن الفضل بن عبدالله بن سعيد بن الغوث بن ألغز بن مذكر بن يام بن أصبى بن دافع بن مالك بن جشم الأوسط بن حاشد بن جشم الأكبر بن خيران بن نوف بن همدان، ابن القاضي عمران بن الفضل السالف ذكره، من معاصري الحرة الملكة اليمانية السيدة بنت أحمد الصليحي، من أعلام الدولة الصليحية، ومن حُكَّام القضاء العرفي-المنع-كان حيًّا بعد ٥٣٢هـ، وله حظ بحوك الشعر وإدراك الثأر، كما أن له كتاب في القضاء العرفي واسمُه "المنع".

قومه شوكة اليمن وهامتها همدان أحلاس الخيل، ونسبه في أعز بطونها "يام" وأبوه وأخوه وأبناء أخيه رؤساء و سلاطين في همدان واليمن، وأخبارهم مبثوثة في تواريخ أهل اليمن.

شعره:

قال القاضي حسين بن عمران بن الفضل رحمه الله تعالى يرثي الملكة السيدة بنت أحمد الصليحي، وقد زار قبرها بذي جبلة:

(الطويل)

وَقَفتُ على قبْرِ الوحيدةِ وقفةً   وقد زِينَ منها مسجدٌ وستورُ
فقبَّلتهُ واستفتُ رَيَّا ترابهِ   وعاودَ قلبي رنةٌ وزفيرُ

وسالت دموعُ العينِ منّي كأنها بشطِّ مجاري المُقلتينِ سطورُ
فَ للهِ منها ما أقلَّ سريرُ ولله منها ما أجنّ حَفِيرُ
ولله منها روحُ قدسٍ تميَّزت فصارت بأعلى الدائراتِ تطيرُ
خلا القصرُ في ذي جِبلَة من مكارمٍ يحنُّ إليها بائسٌ وفقيرُ
ومن جَوْدِ بحْرٍ بالعطايا نوالُهُ على مُعتفيه عسجدٌ وحريرُ
ومن دَرْسٍ ما ضمَّ الكتابُ وبعدهُ صلاةٌ وتسبيحٌ معًا وطهورُ
وما سَمِعَت أُذني ولا راعَ ناظري تجاوبُ قيناتٍ بها وخمورُ
تُحلُّ مصيباتٍ وتعرو نوائبُ وتَحدِثُ من بعدِ الأمورِ أمورُ
وأصبَحَ في قصرِ المَليكةِ بعدها عزيزٌ عليها مُنكرٌ ونكيرُ
ولو كان داعي الموتَ يثنيهِ دونَها قَبِيلٌ ويُنجي من سَطَاه عسيرُ
لقام لها من حِميَرٍ كلُّ أرعنٍ سحابُ المنايا حيثُ حلَّ مطيرُ
وصارَ لها من صيدِ كهلانَ جحفلٌ تسيرُ الجبالُ الشُمِّ حيث يسيرُ
ولو حالَ دون الموت عنها مبلَّطٌ منيعٌ يردُّ الطرفَ وهوَ حسيرُ
لكانَ لها حصنُ قيضانَ معقِلٌ تقصَّرُ عنهُ في العلوِّ طيورُ
ولكن أبى إلا خفيًّا بشخصيهِ حقيرٌ وما يسطو عليها كبيرُ

شارك بجانبِ أخيه أحمد كما ذكرنا في قتل الشريف يحيى بن حمزة بن وهاس قاتل والدهما.

٤-محمد بن أحمد بن عمران بن الفضل:

هو القاضي الأجل محمد بن أحمد بن عمران بن الفضل اليامي، كان ذا صيتٍ ذائع، وصَلَ إلى المؤرخ القفطي في مصر، فترجم له في كتابه" المحمدون من الشعراء"، كان الأمير محمد بن أحمد يعيش قريبًا من الملكة السيدة بنت أحمد، وكان من فرسان الدولة الصليحية المعدودين، وقد قال عمارة اليمني في كتابه أنَّ الأمير محمد كان يعد بمئة فارس، وله في الفروسية ووصف الخيل شعرُ سنذكره، له العديد من الأشعار في الرثاء والمدح والفخر، وقد شارك في حروب الدولة الصليحية وساند ابن نجيب الدولة[١] في معاركه التي خاضها.

وهو أخ السلطان حاتم بن أحمد بن عمران، أول ملوك أسرة آل عمران وسنأتي بذكره إن شاء الله تعالى، كانت جلّ الأحداث التي عاشها الأمير قريبة من مركز الدولة الصليحية، وهذا ما يفسر بعده عن المشاركة في أحداث صنعاء ومملكة أخيه حاتم بن أحمد، وبعد وفاة الملكة الصليحية واندثار الكيان الصليحي، انقطعت أخبار الأمير الذي أبى مفارقة العهد الماضي، الأمير الذي سكنت ريحهُ، وخمدت جذوة ناره وهو الذي كان بالأمس يعد بمئة فارس...

[١] الموفق علي بن إبراهيم بن نجيب الدولة، أمير وقائد عسكري فقيه في المذهب الفاطمي وخبير في الشؤون الحربية، أرسلته الخلافة الفاطمية إلى اليمن لمساندة الملكة السيدة بنت أحمد وإشارتها بعد وفاة مستشاريها في المعارك السابقة وبعد تزعزع الدولة الصليحية، شارك في عدد من المعارك باسم الصليحيين ووضع حدًّا للخلافات الداخلية، إلا أنه حاد عن طريقه المرسوم وابتعد عن الغاية التي أُرسل لأجلها، فأرسل الخليفة الفاطمي يستدعيه إلى مصر، واستغل بعض أمراء اليمن فقدان ثقة الفاطميين فيه، فزادوا في تشويه سمعته أمام الخليفة ودبروا له المكائد للتخلص منه، اختلف المؤرخون في نهايته، وكان دخوله اليمن سنة ٥١٣هـ، ووفاته سنة ٥٢٢هـ، انظرالصليحيون والحركة الفاطمية في مصر،(ص١٦٨).

عاش الأمير محمد في الفترة بين ٤٦٥هـ-٥٤٠هـ على وجه التقريب.

شعره:

غزا ابن نجيب الدولة زبيدًا، فلما تزاحف الرجال للقتال رمى رجل من الأرمن الذين بزبيد بسهم فلم يخط أنف جواد ابن نجيب الدولة، فانهزم الناس عنه، إلا همدان فقد قاتلت عنه أشد القتال حتى أردفه رجل منهم من مواجد من يام اسمه السباعي، وكان في همدان الطوق بن عبدالله اليامي الهمداني فأبلى وقومه معه.

ثم اجتمع سلاطين اليمن عليه لأنه خالف الحرة وقال إنها قد خرِفت وحاصروه بالجند، وكان مع ابن نجيب الدولة فرسان يعدُّ واحدهم بمائة وهم: الطوق بن عبدالله اليامي الهمداني، ومحمد بن أحمد بن عمران بن الفضل اليامي، وعلي بن عبدالله الصليحي الهمداني، وعلي بن سليمان الزواحي.

فقال الأمير محمد بن أحمد بن عمران بن الفضل هذه القصيدة مفتخرًا ببلائه مع الموفق ابن نجيب الدولة ويذكر تفرق الجنود عن الجند، وكتب بها إلى إخوانه وقومه[1]: (الطويل)

خليليَّ إنِّي قد قصصتُ عليكُما ... مع الرَّكبِ من أنبائنا ما تقدَّما
وها أنا واللهُ الموفِّقُ موردٌ ... مِن القولَ ما يشفي الغليلَ المصرَّما
ومُهدٍ سلامًا كالرياضِ تأرَّجتْ ... وفتَّح منها الرشْحُ نورًا مُكمَّما

[1] عيون الأخبار(ص٢٣٩-٢٤٢).

وإن نَسِيَ الإخوانُ بأساً وقسوةً ... خليلًا رمى نُجُدًا وغُورًا فأتهُما
فلم يُنسني بُعدُ الديارِ ودادُكم ... ولا مسلكي شرقًا وغربًا مقدَّما
ولم أنسَكُم والنُّبلُ حولي كأنَّها ... سِراعُ يعاسيبٍ فُرادى وتوءما
ورشُّ جياد الخيلِ منَّا ومِنهُمُ ... خِضابُ دمٍ قانٍ يخيِّلُ عندما
أبثّكما أن الغُواةَ تألَّبوا ... علينا وقادوا كلّ أنكدَ أشأما
عساكرُ فيهم كلُّ ضدٍّ وناصبٍ ... وعادٍ ومرتدٍّ يرى النورَ مظلما
جموعُ عبيدِ اللهِ ظلمًا ورِدةً ... وجُندٌ تزايدَ[1] سطوةً وتغشُّما
فلمَّا توافى القومُ من كلِّ وجهةٍ ... وفجٍّ وأمسى كُلُّ حزبٍ مخيِّما
وأعجبَهُم آراؤهم وجموعهُم ... وأصبح منهُم ثعلبُ القومِ ضيغما
أشاحوا من الشِّحان صبْحا وجنَّدوا ... لأجنادِ جُندٍ كالجرادِ عرمرما
صفوفُ قِسيٍّ خلفَ صفِّ ضرامرٍ ... وصفٌّ يهزونَ الوشيجَ المقوَّما
كمِثلِ أعاصيرِ الرِّبا وكوابلٍ ... من المُزنِ أو أمواجِ بحرٍ تلطَّما
وحامت عقابُ الحربِ فينا وفيهُمُ ... فظلَّ بها طيرُ المنيَّةِ حُوَّما
فردَّهم جيشُ الإمام وحِزبُهُ ... وقد أمطروا صخرًا علينا وأسهُما
بوابلِ نُبلٍ والعجاجُ سحابُهُ ... وبارقُ لمعْ الظبي حين تسجَّما
وتدبيرِ داعيهِ الموفَّقُ إنَّهُ ... كميٌّ إذا ما أبرم الأمرَ أحكما
وفلَّت شَبَاهُم عصبةٌ مذكريَّةٌ[2] ... ترى الصبرَ في يومِ الكريهةِ مغنما
تُحامي على أحسابِها وعهودِها ... وبُنيانُ سامي مجدها أن يهدَّما
فولَّوا فرارًا بعدها وتفرَّقوا ... وأدبر قوماهُم جميعًا وأحجما

---

[1] في العيون: يزيد.
[2] مذكرية: نسبةً إلى قبائل مذكر بن يام"ألغَز، هبرة، مواجد"، فكان لهم بلاء في هذه المعركة وفضل كما ذكرنا، فقد أنقذ ابن نجيب الدولة السباعي المواجدي المذكري وكان الشاعر ممن أبلى في المعركة وهو ممن ذكرهم صاحب العيون وقال إنهم يساوون مائة فارس، كما أنه لا شك في مشاركة قبائل هبرة في هذه المعركة فقد كان للهبريين ذكر زاخر في تلك الحقبة، وبعدها وكانوا قد ملكوا بعض حصون اليمن، مثل أسعد بن علي الهبري الذي ملك حصن قيضان فيما بعد وحاشد بن حتروش الهبري وهما ممن قاتلوا ضد القوات الأيوبية التي دخلت اليمن.

ولا يستوي حِزبُ الإمام وجُندُهُ وأتباعُ مرتدَّيْنِ خانَا وأجرما
فذلكما ما كان من عِلمِ حالنا وأخبارنا صدقًا إلى الآن فاعلما
وصلَّى على خيرِ الأنامِ محمدٌ وأبناءَه اللهُ العظيمَ وسلَّما

وقال ممتدحًا "فخر الخلافة" علي بن عبدالله الصليحي:

(البسيط)

يا غاديًا مزمعًا في السيْرِ مُعتزِمًا لا يتَّقي الأينَ والوعثاءَ والألما
يطوي الصفاصيف مختارًا لِطيَّتِه بذي رسيمٍ يفوتُ الأنْيَقَ الرسمَا
عَبلٌ سَبوحٌ طموحٌ سلهبٌ أرِنٌ يعلو الربا ويجوزُ السهلَ والأكمَا
يظلُّ للأمعزِ الصوّانُ مُنتعلاً وللحيازمِ والغِيطانِ مخترما
يخالُ في الهضبِ عودًا عاصمًا وقلًا وفي الفلا شببًا في وابلٍ شبِما
يؤمُّ بالوخذِ أعلامَ الصوى طِلَقًا إلى الذي صار في دين الهدى علَما
واصل مسيرك بالآصال منسرحًا إلى الدجى وصل الأصباحَ والظُلُما
واحمل سلامي إلى المختار عن كَثَبٍ فخرُ الخلافة والثَم كفَّهُ أمما
ندبٌ سما للمعالي وهيَ شامسةٌ وأرعف الصارم الهنديَّ والقلما
وحازَ من نسبِ الأصلوحِ ذُروَتَهُ وحاشِدٌ واعتلى الهاماتَ والقِمما
رئيس همدانَ بل كهلانَ أجمعها بل قرم قحطان حاز العلم والكرما
أوفى بني الدهر في شامٍ وفي يمنٍ قولاً وفعلًا وأعلى يعربٍ هِمما
ومنصبًا ومحلًّا شامخًا وعلا عند الفخار وأسنى رهطهُ شيَمَا
لما رأى الله ركنَ الدينِ منهدمًا والعدلَ مهتضمًا والحقُّ مُخترما
حباهُ بالرتبةِ العُليا وشرَّفهُ بدعوة الدين حتى عزَّ وانتظما
وساقها نحوهُ عفوًا لطاعتهِ وحُسن سيرتهِ كهلًا ومُحتلِما

فدونك الدر منظومًا محاسنه   يُعمي الشناةَ ويجلو نوره الظُلُما
فأحيه وابْق ماناحت مطوَّقةً   ولا تُمتهُ فيمضي سلكهُ رمما

وقال أيضًا في صدر كتاب: (البسيط)

يا من إليهِ عيونُ الناسِ طامحةٌ   ومن لدولتهِ الحسّابُ تنتظرُ
أنت المُغرنق في سر الملوكِ ذوي   الأحساب والشرفِ الوضَّاح إن ذُكِروا
وأنت من دوحة الأصلوح نبعتها   والأصلُ يشبهُ الأغصانُ والثمرُ
عليكَ مني سلام الله ما طلع الـ   سعدانُ والشمسُ والنحسانُ والقمرُ

وله في رثاء الحرة بنت أحمد: (الطويل)

نأتْ ربةُ القصرِ الشريفِ عن القصرِ   فأيأس راجي النصرَ فيهِ عن النصرِ
إذا اجتثَّ دهرُ الشرِّ دوحةَ روضةٍ   فقضبانها لا تستقيم على الهصرِ
سخِطَت على أهل الزمان لفعلهم   حقيقون أهل العصر ياربَّة العصرِ
فصاروا بلا نورٍ يتيهون في العمى   وذلك تمثيلٌ لما كان في مصرِ
فكم ظلمةً يغشونها ومَضَلَّةٍ   وكم إصر ذنبٍ يحملونَ على إصرِ
رَجَوْنا بها بدء الظهورِ ونشرهِ   فعدنا إلى السر الحقيقيِّ والحصرِ
وقد ينقص التيار من بعد مدِّهِ   ويُضطرُّ حرف المد حينًا إلى القصرِ
فذاكَ كسوف الشمسِ قد طالَ مكثهُ   وهذا خسوفُ دائمُ المكثِ للبدرِ
وذاك سِرارٌ لا انجلاءَ لليلهِ   وهذا محاقٌ ليس يُسفر عن فجرِ
ونرجو فروعا ثمَّر اللهُ نبتها   وأيَّدها بالنصرِ والفتح والقهرِ
لهم وبهم رجاؤنا وسلُوّنا   لأنَّ رجاء اليسرِ في عَقِبِ العسرِ
وأورثَ أملاكُ الأنامِ وسيطُهُم   عليُّ بنَ عبدِاللهِ عالي ذرى الفخرِ

فصبرًا على ريب الزمانِ وصرفهِ فأوفرُ أهلِ الأجر حظًّا أولو الصبرِ

ولهُ في الوجد والتحسر على الماضي، قوله: (البسيط)

رَبعٌ عفا لعهادِ المُزنِ معهدُهُ حتى تنكَّرَ عمَّا كنتُ أعهدُهُ

معدَّلُ القدِّ وافيهِ مقوَّمهُ منوَّرُ الخدِّ صافيهِ مورَّدُهُ

نضرُ المُحيَّا يكادُ الدرُّ يجرَحُهُ رخصُ البنانِ يكادُ اللينُ يعقِدُهُ

يسمو فيُنصبُهُ فصنٌ ينوءُ بهِ حينًا ويجذبهُ حقفٌ فيقعدهُ

ووجدُ ذي الشوقِ يبديهِ تذكُّرُهُ عندَ الخلوِّ ويخفيهِ تجلُّدُهُ

وقال في وصف الخيل: (الطويل)

وصفراءُ تليينُ الشكيمةِ سوطُها إذا الخيلُ لاحت جانبيها سياطُها

تمُرُّ على مِثلِ السراطِ استقامةً إذا اعوجَّ من جري الهِجانِ سراطُها

فمن قائلٍ ما الحسنُ إلا انقباضها ومن مُقسمٍ ما الجودُ إلا انباسطها

يكادُ يطيشُ الحِلمُ منِّي سفاهُها مِرارًا ويستوهي وقاري نشاطُها

وهو القائل:

ديني ودين الرشيد متحد ودينُ أهلِ العقول والحُلُمِ

لم أقف على تاريخ وفاته.

٤- أبوعبد الله الحسين بن القمّ الهبري

وهو شاعر الصليحيين وأديب اليمن في عصره أبو عبدالله الحسين بن علي بن محمد بن القم الهبري اليامي، أوحد شعراء اليمن الفصحاء، يعدونه في اليمن كما يعد المتنبي في العراق والشام، ذكر نسبه المؤرخ محمد بن علي الأكوع الحوالي في تحقيقه لكتاب عمارة اليمني "تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وملوكها وأعيانها وأدبائها"، فقال: (لم يرد ضبط ابن القم في أي مصدر تحت أيدينا إلا أنه الظاهر أنه من قبيلة يام)[١]، وابن القم أثبت نسبه إلى قبيلة هبرة من مذكر من يام من خلال شعره فقد قال في رثاء أخيه محمد بن القم:

يا خيرَ هبرة فارسًا بل يامَ بل همدان أجمع

وله قصيدة مطولة في مدح قبيلة يام أضمنها قوله:

هُمُ قبيلي وهم حصني وهم عُدَدِي في النائبات ولحمي منهمُ ودمي

وسنأتي بذكر القصيدة كاملة.

وُلِد الشاعر في مدينة زبيد وبها تأدب، وكان أبوه علي شاعرًا، وساد أبوه في أيام الداعي علي بن محمد الصليحي، وكان وزيرًا لأسعد بن شهاب في زبيد، وأصبح

[١] تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وملوكها وأعيانها وأدبائها، تحقيق الأكوع، (ص٢٤٠).

صاحب ديوان الخراج بتهامة بعد انتقال المكرم من صنعاء إلى ذي جبلة وعظم شأنه.

وضرب ولده الحسين على خط ابن مقلة فحكاه وكان شاعرا ومترسلا يكتب عن الحرة السيدة بنت أحمد إلى الديار المصرية، والأقطار النازحة وكان من علو الهمة وسمو القدر فيما يلبسه ويمتطيه على غاية منيفة وجملة شريفة طريفة.[١]

وله مجموعة من الرسائل الأدبية، وتوجد مخطوطة لرسائله في المكتبة المحمدية الهمدانية، أشهر رسائله في هذه المجموعة هي الرسالة التي بعثها إلى سبأ الصليحي، يمتدحه ويستعطفه، وتناقل المؤرخين هذه الرسالة، فذكرها ياقوت الحموي وابن شاكر الكتبي وصلاح الدين الصفدي، وقد حققها ودرسها الدكتور نبيل محمد رشاد[٢].

شعره:

في سبأ بن أحمد الصليحي: (الرمل)

فيك صرحتُ للعذولِ إباءَ	وعصيتُ اللوام والنصحاءَ
فأثنى العاذلون أضيَبُ مني	يومَ أزمعتم الفراق رجاءَ
من مُجيري من فاتر الطرفِ ألمى	جمعَ الناسَ خدُّهُ والماءَ
لازمٌ شيمة الخلاف فإن لنتُ	قسا أو دنوتُ منهُ تناءى
يا غريب الصفات حُق لمن كان	غريبًا أن يرحم الغرباءَ

[١] عمارة اليمني، تاريخ اليمن ص٢٤١،٢٤٠.
[٢] دراسات في غرر الأدب الفاطمي، ابن القم الزبيدي ورسالته في المديح والاستعطاف إلى أبي حمير اليماني، رؤية في البناءين الموضوعي والفني.

فيهِ لليلِ والنهارِ صفاتٌ ... فلهذا أسر القلوبَ وساءَ
حربًا من صدوده وتجنيهَ ... وإشماتِهِ بي الأعداءَ
وإذا ماكتمتُ ما بي من الوجدِ ... أذاعتهُ مقلتايَ بكاءَ
كعطايا سبأ بن أحمد يخفيـ ... ـها فتزدادُ شهرةً و نماءَ
أريحيٌّ يهزهُ المجد للجود ... وإن لم تسألهُ جادَ ابتداءَ
ألمعيٌّ يكادُ ينبيك عما ... كان في الغيبِ فطنةً وذكاءَ
وإذا ما أخلف السماءُ لأرضٍ ... خَلَفَت راحتاهُ ذاك السماءَ
بندىً يُخجل الغيوثَ انهمالًا ... وشذى ينهلُ الرماحَ الظماءَ
ما أبالي إذا أحسن الدهر فيهِ ... أحسن الدهر في الورى أم أساءَ
أيُّها الطالب ببغى زرهُ تظفر ... بعطاءٍ يُخجلُ الأنواءَ
تلقَ منه المهذب الماجد البدرَ ... الكريمَ السميدعَ الأبَّاءَ
إن سطا أرعب الضراغم في الـــ ... ـآجام أو جاد يُخجل الكُرماءَ
راحةٌ في الندى تنيلُ نضارا ... وحسامٌ في الروع يهمي الدماءَ
قد تعاطى في المجد شأوك قومُ ... عجزوا واحتملت فيه العناءَ
فأبى الفقر أن يكون أماما ... وأبى الجود أن يكونَ وراءَ
شرفا شامخا وعزًّا منيفا ... عُدمليًّا وعِزه قَعساءَ
أنا أشكو إليك جور زمانٍ ... دأبه أن يعارض الأدباءَ
مالَ عني فما أُؤمِّلُ فيهِ ... كلَّما قلتُ يأسو أساءَ
أهملتني صروفه فكأني ... ألِفُ الوصلِ أُلغيت إلغاءَ
رهنُ بيتٍ لو استقر به ... اليربوع لم يرضه قاصعاءَ
كلَّ يومٍ يأتي كأمسٍ كأن الـ ... ـدهر كانت أيامُهُ إبطاءَ
يا أبا حميرَ وحُرمتِ إحسانكَ ... عندي ما كان حبي رياءَ
ما ظننتُ الزمان يبعدني عنك ... إلى أن أفارق الأحياءَ
ضاعَ سعيي وخبتُ خابت أعـــا ... ديكَ ومن يبتغي لك الأسواءَ

واحتملتُ الحرمان والنقص والإبعادَ والجور والعنا والجفاءَ
وتجمَّلتُ واصطبرتُ فما أبقى على عودي الزمانُ لحاءَ
أعلى هذه المصيبة صبرٌ لا ولو كنتُ صخرةً صمَّاءَ
ولو أني لم أعتمد دون غيري لتأسيتُ أو أموتُ وفاءَ
غير أن التصريح ليس بخافٍ عند من كان يفهمُ الإيماءَ
وسيأتيكَ في البعاد وفي القربِ مديحُ يجمِّل الشعراءَ
فبشكرٍ رحلتُ عنكَ وألقاك بهِ إن قضى الإله لقاءَ
ليس يبقى في الدهر غير ثناءِ فاكتسب ما استطعتَ ذاك الثناءَ

في الأوحد سبأ بن أحمد الصليحي: (الطويل)

معاليكَ لا ما شيَّدتهُ الأوائلُ ومجدُكَ لا ماقال فيكَ قائلُ
وما السعد إلا حيث يممت قاصدًا وما النصرُ إلا حيثُ تنزِلُ نازِلُ
وما الحق إلا من يدينُ بدينهِ وكل الذي فوق البسيطةِ باطلُ
وكل جيادٍ لم تقُدها عواثِرٌ وكلُّ نِصالٍ لم تَرِشْها نواصلُ
وكل بلادٍ لم تحُزها ضوائعٌ وكل رِباع لم تسِبها هواملُ
إذا رُمتَ صيدًا فالملوك طرائدٌ أمامك تسعى والرماحُ أجادلُ
مصائبها إن سالمتكَ مواهبٌ وأعضاؤها إن حارَبَتك مقاتلُ
ومذ رمت إيراد المعالي تيقَّنَت نفوسُ الأعادي أنهنَّ مناهلُ
وقد عَشِقت أسيافُكَ الهامُ منهمُ فكلُّ حسامٍ مُرهف الحدِّ ناحلُ
إذا طَعَنَت لم تَدْر مسنا رماحها كأن العوالي ما لهُنَّ عواملُ
مخافةَ ليثٍ يُرهبُ اللِّيثَ بأسهُ ويخشاهُ أن يغتالهنَّ الغوائلُ

توقى الأعادي كبدهُ وهوَ باسِمٌ ... وترجو الموالي جودَهُ وهوَ صائلُ
أخو كرمٍ إلا نَسَلْهُ يكن لنا ... إليه شفيعٌ من نداه وسائلُ
وكلُّ أخي جودٍ أنالك بعد أن ... أرقتَ لهُ ماء الحياءِ فهو باخلُ
فلا حظَّ في مجدٍ لمن لا يخافهُ ... عدوٌّ ولا يرجو عطاياهُ آملُ
ومن يجعل البيضَ الحداد وسائلًا ... له في العلا تطلب إليه الوسائلُ
وإنَّ طريق المجد فيها معالمٌ ... ولكنَّها للأغنياءِ مجاهلُ
ومن يكُ ذا فتكٍ وعزم كعمدِ ... الخلافة يَقصُر دونه المتطاولُ
وما الفتكُ ما عاقبكَ عنه مهابةٌ ... وما العزمُ ماصدتكَ عنهُ العواذلُ
مليكُ يفضُّ الجيشَ والجيشُ حافلٌ ... ويخجل صوب المزن والمزن هاطلُ
سحابُ غواديهِ لجينٌ وعسجدٌ ... وليثُ غواديهِ قناً وقنابلُ
ترى الحمدَ فيهِ ومالهُ وكأنَّما ... لهُ عند مايحوي يدانِ طوائلُ
إذا ما الفتى لم يأكل الحمد مالهُ ... أُبيح له بعضُ النوائبِ آكلُ
حمى مُلكَهُ بالمرهفاتِ وإنها ... حصونٌ بها يحمي العلى والمعاقلُ
إذا المُلكُ لم يُخلط ببأسٍ ونجدةٍ ... فليسَ بملكٍ بل خليطٌ مزابلُ
وإن لم يقيَّد بالقنا فهو شاردُ ... وإن لم يُحلَّى بالظبا فهو عاطلُ
ورأيُ الفتى إن لم يؤيّدهُ عزمهُ ... وإن كان رأيًا صائبًا فهو قاتلُ
إذا المرءُ كانَ الجد بالجدِّ صاعدًا ... لهُ لم يضرهُ في البريةِ خاذلُ
وما المرءُ إلا مشيئةً لزمانهِ ... فمال تفعل الأيامُ فالمرءُ فاعلُ
فمن سامحتهُ قيل ذلك عاقلُ ... ومن عاندته قيل ذلكَ جاهلُ
وفي هذه الأيامُ للمرءِ عبرةٌ ... ولكنها تمضي به وهو غافلُ
تغيَّرَ هذا الدهرُ حتى كأنما ... العشايا بكورٌ، والبكورُ أصائلُ
تُرى السَّنا للناسِ وهي صوارمٌ ... حدادٌ وأكبادٌ وهنَّ مراحلُ
وكل امرءٍ في فكِّه لك ناصحٌ ... محبٌّ وفي جنبيهِ صلٌّ محايلُ
فلا تبغ في الدنيا صديقًا مسالمًا ... إذا لم يكُن فيها عدوٌّ مُحاملُ

سأصبرُ للأيامِ فالصبرُ عادةٌ تعوَّدها قبلي الكرامُ الأفاضلُ
ليعلم دهرٌ عضني أي عضةٍ أينَ أحمها أو أي صدوٍ يزاولُ
أحينَ رآني صابرًا متحمِّلًا تمادى على عدوانه متحاملُ
ولِي نفسُ حرٍّ لا يذوقُ مذلَّةً وإن شابها بالشهدِ والربيِ عاسلُ
يطولُ بها أن ليس يلقى مُماثلًا ويسمو بها ألّا ترى من تساحلُ
ومن يكُ في دار المذلَّةِ ثاويًا فإنيَ عن دار المذلةِ راحلُ
لأني إلى سيفِ الإمامةِ راجيًا وللتاج تاجُ الدولةِ الملكِ آملُ
أحقًّا نظام المؤمنين عليك لا ردَدْتَ القنا إلا وهنَّ نواهلُ
دُحت لك الأرضُ لرضا حسومها ومُدَّت سماءٌ كالسماء القساطلُ
مَلكتَ أقاصيها فمن ذا يحاولُ وأفنيتَ من فيها فمن ذا يُقاتلُ
فقد وَجَبت من ذي الجيادِ جيادُنا وقد رُوِيت منَّا الدِّماءُ الذوائلُ
وما شك فيك السيفُ أنَّك صارمٌ ولا ارتابَ منك الليثَ أنَّك باسلُ
أخيلًا مداكيكُ اللواتي يقودُها إلى كلُّ شُهبٍ أم ذُبابُ عواسلِ
وبيضًا مواضيكَ اللواتي بصوتها على كلُّ عادٍ حاملاتٍ نوازلُ
وفوقَ العوالي من فتاكَ أسنَّةً لها أم نجومٌ في القلوبِ أوافلُ
بسيفكَ يا سيفُ الأنامِ سطا الهدى فقصِّرَ عنهُ كل من يتطاولُ
وأمضى الحسامين الذي لا يفِلُّهُ ضرابٌ ولا يخلو صداهُ الصياقلُ
فدُم للهدى ركنًا وللدينِ معقلًا يُدافعُ عن هذا وهذا وما صلُ
ولا تَخلُ من حمدٍ وكرٍ فكلما حوى المرء إلا الحمدُ والذكرُ زائلُ

وقال في الأوحد سبأ بن أحمد أيضًا: (الطويل)

ضامَتكَ أطعانُها بالسفح من أضَمِ وأسلَمَتك مغانيها بِذي سلَمِ
فما تزالُ على آثار مُنْصَرفٍ عن الودادِ بوجدٍ غيرُ منصرمِ

وكم أخذت على قلبي المقامَ على … الصبرِ الجميلِ فعاصاني ولم يُقِمِ
لو كان لي، كان لي طوعًا فدُونَكَهُ … سلَّمتُ فيهِ إليكَ الأمرَ فاحتكِمِ
فما أُنازِعُ فيهِ كفَّ مُغتَصِبٍ … ولا أرِقُّ له من جورِ مُنتَقِمِ
ولو فعلتُ بهِ ماظلَّ يفعلهُ … سيفُ المتوَّج من قحطانَ في اللَمَمِ
العالِمُ العامِل الغاني بِشُهرَتِهِ … عن أن تُشَبِّهَهُ بالنارِ في عَلَمِ
مولى الملوكُ الذي يرضا بخادِمِه … مولى وليس براضيها من الخدمِ
أغرُّ لو مسَّ ظهرُ الأرضِ أخمَصَهُ … غَنَا أديمَ ثراها عن ندى الدِّيَمِ
يحِجُّ وُفَّادهُ منهِ إلى حَرَمٍ … رحبِ الفناءِ حلالُ الصيدَ في الحَرَمِ
يُفني العِدَا والقنى كُلُّ بصاحِبِه … فبين مُنعَقِرٍ قصعًا ومُنحَطِمِ
أجلت خزائِنُه من كُلِّ مُكتَسَبٍ … مدائِحٌ ملأت بالشكرِ كُلَّ فمِ
إن بانَ شُكري فوجهي لم يَبِن معهُ … أو شَطَّ جسمي فودِّي فيكَ لم يَرِمِ
فجُد وعُد واعطُف عليَّ و هَبْ … واصفح وأدْنِ وأحسِن وارضَ وابتسِمِ
لا تطرحَنِّي فعِندي كُلُّ سائرةٍ … يبلى الزمانُ ولا تبلى مِنَ القِدَمِ
من كلِّ زهراءَ لا تفنى على هَرَمٍ … تُزري بشعرِ زُهَيرٍ في الفتى هَرَمِ

وقال عمارة: حدثني الفقيه أبو السعود بن علي الحنفي قال: حدثني ابن بنت الصباح قال: حضرت مجلس الوزير في العراق وعنده جماعة يتذاكرون الشعر، فقال لي: هل تحفظ شيئا لشعراء أهل اليمن؟ فقلت نعم. قال فأنشد، فأنشدته قول ابن القم، وذلك حيث يقول:

(البسيط)

الليلُ يعلمُ أني لستُ أرقُدُهُ … فلا يغرنَّك من قلبي تَجَلُّدُهُ
فإنَّ دمعي كصوبِ المزنِ أيسَرُهُ … وإن وجدي كحرِّ النارِ أبرَدُهُ

لي في هوادِجِكُم قلبٌ أضنُّ بهِ فسلِّموهُ وإلا قُمتُ أُنشُدهُ
وبان للناسِ ماكنتُ أكتِمُهُ من الهوى، وبدا ماكنتُ أجحَدُهُ
وفي هذه القصيدة يقول:

سُلاَلةُ الفضلِ[1] إن شمسُ الضحا احُتجِبَت عن العيونِ أضاءَ الأُفقُ سؤدَدُهُ
ماتَ الكِرامُ فأحيَتهُم مآثِرُهُ كأنَّ مَبعَثَ أهلُ الفضلِ مولِدُه
لولا المخافةُ من ألا تدومَ لهُ لذاذةُ الموتِ أعطَت نفسَها يَدَهُ
كأنَّهُ خافَ أن ينسى السماحَ فما يزالُ منهُ لهُ درسٌ يُردِّدُهُ
الموقدون إذا باتوا فواضلَ ما ظلَّ الطِّعانُ بأيديهم يُقَصِّدُهُ
بِكلِّ عضبٍ تَخِرُّ الهامُ ساجِدَةً إذا رأتهُ كأنَ الهامَ تعبُدُهُ

وله من قصيدة يهنئ بها الملك المكرم بن علي زوج الحرة الملكة بدخوله عليها:

وكريمةُ الحَسَبينِ يكنِفُ قصرها أُسْدٌ تهابُ الأُسدُ من صولاتها
وتكادُ من فَرطِ الحياء تغضُّ عن تمثالها المرئيُّ في مرآتها
ظَفَرت يداك بها فبخبَخ إنَّما لكَ تَذخرُ العلياءُ مضنوناتها

مدح الصليحي ابن القم فقال: أنت يا أبا عبدالله كما قال المتنبي، حيث يقول:

وفؤادي من الملوك وإن كان لساني يُرى من الشعراءِ
فقال ابن القمِّ: (الطويل)

[1] يريد القاضي عمران بن الفضل.

ولما مَدَحتُ الهزبريَّ ابنُ أحمد   أجازَ وجازاني على المدحِ بالمدحِ
فعوَّضَني شِعرًا بشعرٍ وزَادَني   عطاءً فهذا رأسُ مالي وذا رِبحِي
شَقَقتُ إليهِ الناسَ حتى لَقُيتُه   فكُنتُ كمن شقَّ الظلامَ إلى الصبحِ

ومن قصائده، قصيدة قالها في الفخر، ممتدحًا قومه قبيلة يام، فيقول:

معالمُ المجدِ والعلياءِ والكرمِ   الصيْدُ من مذكرٍ والشُمُّ من جَشَمِ
أولئكَ الضاربونَ الهامَ عن عَرَضٍ   والمانعو الجارَ والموفونَ بالذِّمَمِ
والقائدو الخيلِ شوسًا ضُمَّرًا عُبسًا   شُعثًا فوارسُها يمرحنَ في اللُجَمِ
والمنهلونَ صدورَ السُّمرِ مِن مُهَجِ   الأعداءِ والمُغمِدونَ البيضِ في القِمَمِ
والساحبونَ ذيولَ السَّردِ لامعةً   والناقضون صفوفَ الجحفَلِ العَرِمِ
والمطعمون الجِفَانَ السودَ مُترعَةً   إذا تناوَحَتِ النكباءُ في القُحُمِ
والنازلونَ بقاعَ الأرضِ إن نزلوا   والموقِدو النارَ للأضيافِ في الظُّلَمِ
تاللهِ ماحلَّ جارٌ في منازِلِهم   إلا وصانوهُ عن ذلِّ وعن عَدَمِ
يخشى عدوُّهُم النائي معرّتهم   وجارُهُمُ في حِمى أمنٍ وفي حَرَمِ
همُ قَبِيلي وهُم حِصني وهُم عَدَدِي   في النائباتِ ولحمِي منهمُ ودَمِي
كأنَّهمُ وسليلُ الفضلِ بينَهُمُ   شُهُبٌ تحفُّ بِبَدرٍ في ذُرى عَلَمِ
مِن معشرٍ إن هُمُ هزُّوا الوشيجَ بَدَوا   تحتَ الذوائلِ كالآسادِ في الأَجَمِ
غرُّ الوجوهِ إذا التفَّ الندى بِهِمُ   يقضُ المقاومِ والأفعالِ والشيَمِ
إذا المُضافُ دعاهُم يومَ نازِلَةٍ   جاؤوه بالسُّمرِ والهنديَّةِ الحُذُمِ
يحمونَ بالبِيضِ عِزًّا لا يُبَاحُ لهُ   حِمًى ويبنونَ مجدًا غيرَ مُنهَدِمِ
همُ الغيوثُ إذا سُمَّت أكُفُّهمُ   فإنَ شَكَكْتَ فيمِّمِ دارهُم وَنَمِ
إن هُم عليكَ قضَوا بالحُكمِ فارضَ بهِ   أو حكَّموكَ على الأملاكِ فاحتكِمِ

أو خوَّفُوكَ وجاورتَ النجومِ فَخَفـ أو أمَّنُوكَ وحاربتَ الورى فَنَمِ

اللهُ فضَّل (يامًا) في عشَائرها وفضَّلَ اللهُ همدانًا على الأُمَمِ

إن أُمسِ عنهُم فمَن قومي ومَن عددي أو أضِع فيهِم فإنِّي في ذرى رَحِمي

وإن أُطِل في حديثي ذِكْرَ سؤدُدِهم يفنى ويَفنِدُ ماعندي من الكَلِمِ

وله في رثاء الملك الأجل أبي الحسن الصليحي -مؤسس المملكة- أبيات قالها على لسان أخته السيدة تحفة بن محمد الصليحي، فيقول:

رُزِئت مِن الأملاكِ كُلَّ مُتوَّجِ كثيرُ غبارِ الجيشِ طلَّاعُ أنْجُدِ

أأبكي علياً أم أخاهُ الذي فدى وأكرمُ مفديّ هناكَ ومُفتدي

الثالثُ اللاقي الحرابَ بنحرهِ وقد نَهَلتْ مِن كُلِّ أَغْيَدَ أصيدِ

فللهِ أُسْدٌ صُرِّعَت بِثَعَالِبٍ وللهِ أحرارٌ أذلَّت بأعْبُدِ

ملوكٌ ترى الأملاكَ حولَ دسوتِهم صفوفاً عكوفاً من قيامٍ وسجَّدِ

وقد جيَّش قبائل حمير التي حكمتها الدولة النجاحية للخروج عليهم، فقال:

(البسيط)

أما ونعمةَ عافٍ مخفق الطلب رمى إلى غاية النجوى فلم يُجبِ

ودعوة الصارخ المرعوب فاجأهُ لمعُ المنيةِ بين السمرِ والقضبِ

لا أقنعنَّ بعيشٍ دائم الرتب حتى أُبلِّغَ نفسي أعظمَ الرُّتَبِ

وكيف أمنعها عمَّا تهمُّ بهِ وليس دون الذي أبغي سوى الطلبِ

لَيَنْدَمَنْ كل من لاحت له فرصٌ على الأعادي فأرجاها ولم يثبِ

فإن تقوموا أقُم فيكم قيامَ فتى ... حامي الحقيقة لا يدنو من الريَبِ

يُذبّ عن مجدكُم بالخير معلمةً ... وبالقواضب والخطيَّةِ السُّلبِ

حتى تروا عثراتِ النقعَ ثائرةٍ ... من مكةٍ ونواحيها إلى حلبِ

لا خير في رجلٍ لم يوهِ كاهلهُ ... حملُ اللواءِ أمامَ الجحفلِ اللجبِ

لمَ لا أروم التي أسبابها جمعت ... عندي وقد نالها غيري بلا سَبَبِ

لا يُكسَبُ المجدُ بالتهوين في طلبٍ ... ولا يُنالُ العلى بالهزل واللعب

لأقطعنّ إليها كلُّ داويةٍ ... غولٌ تبرَّحُ بالوخَّادةِ النُّجُبِ

حتى يظن الرجا أني اعترضت شجا ... في حلقه وقذى في أعين النوب

أخيفةَ الموت أثني النفسَ عن ... إذًا بُرِئتُ من العلياءِ والحسبِ

لأهتكن جلابيب القتام بها ... شعثاً تراوح بين المرعِ والخَبَبِ

كأنها والمرامي يرتمين بها ... جرائر من قطا أمسى على قِرَبِ

يحملنَ أُسدَ شرًى يحملنَ سمرَ قناً ... يحملنَ شُهبَ دجًى أمضى من الشُّهُبِ

من كل عارضِ عضبٍ فوق منكبهِ ... كأنَّهُ نَهَرٌ جارٍ على ثَغَبِ

إذا هم اغتصبوا تاج امرئٍ عصبوا ... به من الذل تاجاً غير مغتصب

من مبلغٌ عنيَّ الأحياء من يَمَنٍ ... أهل الندى والسدى والرأي والأربِ

بالهضب من (رَمَع) والسهل من (جَرَعٍ) ... مأوى الطريد وغوثُ المجدبِ السَّغِبِ

منازلٌ لم تزل سكانها عصمُ الـ ... جاني وأمنُ فؤاد الخائف النَّجِبِ

بنو المقاول والأذواء نسبتهُم ... إلى العلا ذو رعين ثم ذو كَرِبِ

فنادِ فيهم إذا التفت محافلهُم ... نداء من لم يعد بالزور والكذب

ما بال كل قتيلٍ عزّ جانبهُ ... وأنتم من دوام الذلّ بالتعبِ

وما بكم قلَّةٌ ممن يسومكُمُ ... خَسْفاً ولا ضيعةً في الأصل والنَّسبِ

خَفَّت إلى المجد علكٌّ قبل خفتكم والرأس أنتم وليس الرأسُ كالذنب

كم من هِزَبَرٍ هصورٍ في يدي ضبع يقتاده وعُقابٌ في يَدَيْ حربِ

رعية لرعاةِ السوء لا سلمتْ نفس امرئ ذلّ إشفاقاً من العطَبِ

كم حُرَّةً فيكُمُ بيضاء خاضعةً بالرغم للأمة المشقوقة العقِبِ

أتصبح الأعبدُ الخُزم المخطّمةُال لأنوفِ حاكمةً في السادة العربِ

أخيفةَ الموتِ لا ذُلَّت رقابَكُمُ هل ينفعُ المرءُ منه شدّة الهربِ

فالموت أحسنُ بالحر الكريم من الـ عارِ المقيم على الأخلاف والعقب

فيا لها خطة طابَ الحمام بها يا للرجال ويا للسمر والقُضُبِ

من لم يلج قربوس السرج جبهتهُ من النعاس فيضحي بيّنَ الذنب

يظن هنديَّهُ هندًا فيلثمهُ فما يزال بليلِ المعرسِ العزبِ

كأن ما في عروض البيض من شنبٍ مكان ما في غروب البيض من شُطَب

أَنْسَتْه ذات حجول زانها قببٌ هوى ذوات حجول زِينَ بالشَّنبِ

أنا النذير إلى من جاءه نبئي منكم فأسمَعَهُ صوتي فلم يجبِ

فقل لقحطان إن طال الهوان بها لا أرغمَ اللهُ إلا آنفَ العرب

إن أغضَ أغضَ على ذلٍّ ومنقصةٍ وإن أصُل لا أجد عوناً على النوَبِ

وغالب الظنِّ أني سوف يحملني عُلو نفسي على الآرام والعطب

ومن مراثيه في أخيه الفارس محمد بن القمّ اليامي قوله: (الرجز)

بان ابن أمك حين أزمع فمضى لطيّبهِ فودَّع

فبقيتُ بعد فراقهِ أبكي بعينٍ ليس تهجع

إن كان يسليك البكا ءُ فخلِّ سيلَ العينِ يدفع

نَزَل الذي لا بدَّ منهُ … عليكَ فيهِ ففيمَ تجزع

فاصبر وإلا فابك إن … كان البكاءُ عليهِ ينفع

يادهر ويحكَ بعد مو … تِ محمَّدٍ ماشئت فاصنع

فالأُنسُ وحشٌ بعدهُ … والأرضُ في عينيَّ بلقع

للموتِ تغذو نسلها الدنـ … ـيا وللتفريق تجمع

لهفي عليكَ فما فقدتُ … لكَ بل فقدتُ الخيرَ أجمع

لم يبق فقدُكَ لابنِ أمـ … ـكَ في لذيذ العيشِ مطمع

من بدر مظلمةٍ وليـ … ـث كريهةٍ وخطيبُ مجمع

للهِ ما ضمَّت ثيا … بُكَ من كريم الطبع أروع

يا حسرةً لك ساهرًا … والسامرونَ لديكَ هُجّع

ما كان أكره ذاك من … مرأى إلى بصري ومسمع

يا حسرةً في موتةٍ … قدمتها ما كان أضيع

ماكان ظنيَ أن تموتَ … حليفَ مرفقةٍ ومجمع

أوفى سروجَ الأعوجيـ … ـةِ وهيَ بالأبطالِ تمرع

بين العوامل والعواسـ … ـلِ والمواضي وهي تلمع

ميتاتُ مثلكَ من ذوي العلياءِ … و الشـــرفِ الـمُمنَّع

أحبِب بنجرانَ التي … أضحت لجسمكَ خير مضجع

لله درك من مصابٍ … فـي أحبـتِّهِ مـفجَّع

يا خيرَ هبرة فارسًا … بل يامَ بل همدان أجمع

موتٌ به نَوَب الزمانُ … فما استكان ولا تضعضع

في كلِّ يوم قلبهُ … بحوادث الأيامِ يقرع

ألِفَ الخطوب فما يهابُ … من الخطوبِ ولا يروَّع

لو كان قلبيَ صخرةٌ … من صخرِ نجرانٍ تصدَّع

لستُ ابنَ أُمِّكَ إن قنعـ … ـت من الزمانِ بغير مقنع

حتى أثير عجاجة تدعُ النهار الجونَ أسفع
بضوامرٍ يورين قد حًا في الظلام بكل يرمَع
فكأنَّ بينَ نسورهنَّ جداول النيران تطلع
وكأنما الشُّهُب المنيـــ ـــيرةُ من حوافرهنَّ طلَّع
تردي بكلِّ مدجَّجٍ بطلٌ بلامته مقنَّع
ما عذر مثلي إن ونى في نيلِ مكرمةٍ وضيَّع
ولهُ ثلاثةَ أنصلٍ كنوازل الأقدارِ قُطَّع
صمصامهُ ولسانهُ الـ بتارُ والقلب المشيَّع

وله أيضًا وهو يواريه في قبره: (الطويل)

لهفي لفقدكَ لهفًا غير منقطعِ ما كان أقرب بأسي فيكَ من طمعي
إن تسترِح فأنا المبلوُّ بعدكَ بالـ ـلأحزان أو تسلُ إني دائمُ الجزعِ
كيف التذاذي بدينا لستَ ساكنها؟ أو اغتباطي بعيشٍ لستَ فيهِ معي

ومن شعره في الغزل قوله[1]: (الطويل)

رقَ لي قلبُها وقد كان فظًّا فأرتني دُرَّينِ دمعًا ولفظا
ثم قالت: ألستَ تقبلُ نصحًا؟ مِن نصيحٍ ولستَ تقبلُ وعظا
بِتَّ يا باردَ الجوانحِ خُلوًا مِن غرامٍ بهِ فؤادي تلظًّا

[1] العماد الأصفهاني، خريدة القصر ٨٣/٣.

فازَ كلٌّ بالحظِّ من هذه الدنيا ... ومانلتَ أنت مِن زمانِكَ حظًّا
أنا مولى محمدٍ وعليٍّ ... لستُ مولى بني زيادٍ فأحظا

وله أيضًا: (الطويل)

إذا حلَّ ذو نقصٍ محلَّةَ فاضلِ ... وأصبح ربُّ الجاهِ غير وجيهِ
فإنَّ حياة المرء غير شهيةٍ ... إليه وطعمُ الموت غير كريهِ

وله وقد عارضه في سفرهِ أسد: (الوافر)

أُسامةَ رفقًا إننا رفقاءُ ... فعُد راشدًا إنّ اللجاجَ شقاءُ
فإلا تصاحبنا بخيرٍ إننا ... وإياك في كسبِ المعاشِ سواءُ
زأرتَ دعاء القرى أم رأيت الـ ... ـمطي كلالًا فهو منك حُداءُ
أم القوت تبغي من ركائب ما غدت ... وراحت وفيها للقرادِ غداءُ
فإن ذُعِرَت منكَ الجيادُ فإننا ... بأمنكَ لو جاورتنا أُمناءُ
عرينكَ ذا دانٍ وأهلكَ حُضَّرٌ ... ونحنُ فسفرٌ بينكُم غرباءُ
ولو زرتنا زارتكَ منَّا خراذلٌ ... ضخامٌ وأصرامٌ تروحُ وشاءُ
حذارك يا ذا الزأر خُرسًا صحبتهم ... فإنهُمُ عندَ الرَّدى خُطَباءُ
فإن تدنُ منهُم قابَ رمحٍ فإننا ... إليك إذًا مما جَنَوهُ بُراءُ
خفير الفتى منَّا بهِ متخفِّرٌ ... دواليك حتى كلنا خفراءُ

وكتب على كأس: (الخفيف)

إن فضلي على الزجاجةِ أنِّي ... لا أُذيعُ الأسرارَ وهيَ تُذيعُ
ذهَبَ سائلٌ حواهُ لجينٌ ... جامدٌ إن ذا لشيءٌ بديعُ

وله:

لا تلومنَّ زمانًا عَدَلت فيهِ الصروفُ
إن هوى فيهِ شريفٌ أو علا فيهِ سخيفُ
فكذا فعلُ الموازينِ التي ليست تحيفُ
ينزلُ الراجح منها مثلما يعلو الخفيفُ

ومناقب ابن القم كثيرة، وديوان شعره كبير، وهو عزيز الوجود وقد يوجد غير تام ويوجد في النادر[1]، ولو جمعتُ كل ما ورد عن شعره لاحتجتُ كتابًا كاملًا خاصًّ، ولكنني اكتفيت بإيراد باقة من عيون شعره رحمه الله، وكُتُب التاريخ اليمني الإسلامي تزخر بقصائده وأشعاره ومناقبه.

وفاته:

ذكر ياقوت الحموي أنه توفي سنة ٥٨١هـ، ومنشأ ذلك أنه أرخ مولده بسنة ٥٢٦، بينما تشير المصادر إلى أحداث وقصائد شعرية تفيد بعيشه في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، وقد ذهب بعض الباحثين إلى القول بأن مولده كان حوالي سنة ٤٢٦هـ وأن وفاته كانت نحو ٤٩٢هـ وهو أقرب التواريخ لموافقته القرائن التاريخية الوارده في أشعاره.

[1] العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن، (ص٧٦٨).

٥-حاتم بن الغشم اليامي

وهو حاتم بن أحمد بن الغشم المغلسي الهبري المذكري اليامي، وقد ذكر ابن المؤيد نسب آل الغشم فقال: حاتم بن أحمد بن الغشم بن المنصور بن الوازع بن معاوية بن أحزم بن هبرة بن مذكر بن يام[١] استولى على حكم صنعاء وماجاورها بعد وفاة آخر سلاطين الدولة الصليحية "سبأ بن أحمد".

أسس الدولة الحاتمية اليامية الهمدانية عام ٤٩٣هـ على أنقاض سابقتها الدولة الصليحية، وأكمل مسيرته على نهج من سلفه من الصليحيين، استمر حكمه لمدة عشر سنين من سنة ٤٩٢هـ إلى سنة ٥٠٢هـ وكانت هذه سنة وفاته، ولم تحفظ كتب التاريخ كثيرًا من أشعاره.

عمل السلطان على ضبط مملكته الجديدة بعد أن أطاعته قبائل همدان، وكان مستعينا في أمره بأبنائه الثلاثة محمد وعبد الله ومعن، لكن المصادر لا تفيد بالشيء الكثير عن عهد السلطان حاتم بن الغشم سوى أنه قتل ابنه الذي تكرر اجتراؤه على قتل كل امرأة يتزوجها، فكان أن زوَّجه والده بامرأة من آل الصليحي وأخذ عليه عهدًا ألا يقتلها، فلمَّا فعل لاحقه حتى ظفر به وقتله.

[١] مخطوط روضة الألباب، ابن المؤيد. وقد أسقط عددًا من الأجداد، فالتسلسل فيه اختلال

شعره:

لم يُنقل من شعره سوى أبيات قالها بعد قتل ابنه، والقصة كما وردت في البهجة: "وأما صنعاء، فلمكها بعد الداعي سبأ بن محمد الصليحي، رجل من هبرة من يام، حاتم بن الغشم، وكان ناهضًا كافيًا، وله ولد يسمَّى محمد، لم يشاركه أحد في شجاعته و جوده، إلا أنه كانت فيه لوثة واختلال عقل، فكان إذا تزوج بامرأة وأحبها قتلها، فتحاماه الناس ولم يزوجه أحد بعد ذلك [ثم إنه] خطب إلى بني الصليحي أهل قيضان، فأبوا زواجته، فألح عليهم، فقالوا إذا ضمن أبوك زوجناك، فلم يزل بأبيه حتى ضمن عليه، وقال أبوه إن قتلتَها قتلتُك، فأقامت عنده مدة، فقتلها ولحق بحصن براش صنعاء، فلم يزل أبوه يلاطفه ويخادعه حتى التقيا تحت المدرج، فوثب عليه والده فقتله، وقطع رأسه ودخل به صنعاء على رمح، وكان لابنه محمد بنيَّة في بيت جدها حاتم، وقد سمعت بأن جدها خرج ليأتي بأبيها فلم يفاجئها إلا رأس أبيها على الرمح، فماتت فجأة"، ثم إن السلطان حاتم بن الغشم حزن حزنًا شديدًا على ابنه وقد قال: (الطويل)

وأرتعتُ رأسَ الأريحيِّ محمدًا ... من البيضِ مشحوذ العرانينِ صارما

وقلتُ لهُ هذا قَصَاصٌ بما جنت ... يداكَ وكانَ اللهُ روحكَ راحما

وقد كُنتُ إن جشَّمتُهُ لِمُلِمَّةٍ ... رأيتُ فتًى يومَ النوائبِ حاسِما

وقد كانَ إن جشَّمتُهُ لِملَّمةٍ ... من الخطبِ والخوفِ المَهُولِ تجشَّما

وإن حَضَر اليومَ العبُوسَ رأيتَهُ ... إذا طَاشَت الأحلامُ أرْوَعُ باسِمَا

أخبار ابنه محمد:

ومما يحكى من شهامة محمد بن حاتم بن الغشم المغلسي الهبري وعلو همته، أنه ركب يومًا بصنعاء، حتى إذا صار بالجنوب المقابل للجراف، صاح بهمدان فخرج إليه من صنعاء سبع مئة لابس، فقالوا: ما معك؟ قال أريد غزو نجران. فقالوا سمعًا وطاعة، وإنما نتزود ونستعد لذلك، فأبى عليهم، فلم يزالوا به حتى أذن لهم في العودة تلك الليلة ويوافونه في اليوم التالي، وقال صبوا دروعكم رهانة، فصبوا مئة درع، ولذلك سمي ذلك الموضع مصب الدروع، وغزا نجران، فأخذه واستباحه.[1]

وروي عنه أنه أوقد نارًا عظيمة للفخار والنار فيها عالية تلتهب، وقد كانت له جارية أحبها حبًّا شديدًا فجلبها وعليها ما شاء الله من الحلي فطرحها في النار فاحترقت، ثم ندم عليها ندمًا عظيما، وجاء ليطرح نفسه بعدها فلزمه الحاضرون ورجعوا به ملزما إلى منزله.[2]

وفاته، ومآل دولته:

توفي السلطان حاتم بن الغشم في عام ٥٠٢هـ بعد ولايته دولته لعشر سنين، وخلفه ابنه عبدالله المعروف بالشاب العادل، وقد استطاع كأبيه أن يوحد كلمة همدان ويحول دون اختلافهم وفرقتهم، ولكنه مات مسمومًا بعد ولايته بعامين.

[1] بهجة الزمن في تاريخ اليمن، (ص١٠٤).
[2] الخزرجي في العسجد المسبوك، (ص٧٢).

فولي بعده أخوه معن بن حاتم، ولما لم تستقر الأحوال في عهده، اجتمعت همدان يرأسها القاضي أحمد بن عمران بن الفضل اليامي، وكان عالمًا عاقلًا يرجع إلى رأيه وخبرته، وخلع معن في عام ٥١٠، وذلك بعد أن حاصره مع همدان في مقره، ثم أسكنوه حصن براش ليس له من الأمر شيء.

انتقال المُلك من عَقِبه إلى آل القبيب:

وولّوا مكانه السلطان هشام بن القبيب بن الربيع اليامي يسانده أخوه حماس ودخلوا بهما إلى صنعاء في موكب فخم، وأحسن هشام الاضطلاع بالمسؤولية إلى أن توفي في السابع عشر من شهر رمضان سنة ٥٢٧ وقد حكم دولته ١٧ سنة، ثم انفرد بالحكم أخيه حماس بن القبيب ثم ابنه حاتم بن حماس، ثم انتقل الحكم إلى آل عمران بن الفضل كما أسلفنا.

٦- حاتم بن حماس بن القبيب:

استقام الأمر لبني القبيب بن الربيع كما أسلفنا، فحكم السلطان هشام بن القبيب يسانده أخيه حماس، ثم توفي هشام بن القبيب وانفرد أخيه بالحكم حتى وفاته سنة ٥٢٧هـ، فانتقل الحكم إلى ابنه السلطان حاتم، وهو حاتم بن الحماس بن القبيب بن الربيع بن الفضل بن علي بن أبي زيد بن المعمر بن الصعب بن الفضل بن عبدالله بن سعيد بن الغوث بن ألغز بن مذكر بن يام، هو صاحب صنعاء وسلطان اليمن وهو السلطان السادس من سلاطين الدولة الحاتمية، وكان أعظم آل القبيب رياسةً وأقواهم شوكة.

شعره:

لما حضرته الوفاة جمع إخوته وهم: أبو الغارات وعامر أبو الفتوح، ومحمد وحضهم على الألفة وأمرهم بالتساعد وأن يجعلوا رئيسهم ومقدمهم أبا الغارات، وأن يحلفوا له، فقالوا: لا نحلف، ولانقدم علينا إلا محمدًا، وكان أصغرهم، فلما رأى مخالفتهم لرأيه بكى بكاءً شديدًا فقالوا مايبكيك؟ فقال:

فما الموتُ أبكاني ولا القبرُ راعني ... ولا من حذار الموتَ يا صاحُ أجزِعُ
ولكنَّ أقوامًا أخافُ عليهمُ ... وأخشى بأن يعطوا الذي كنتُ أمنعُ
وتصبحُ آراءُ الرجالِ عليهُمُ ... تجورُ وإصلاحُ الدنيَّةِ يوضعُ

وفاته:

وكانت وفاة السلطان حاتم سنة ٥٢٧هـ[١]، فاختلف إخوته وتفرقت آراؤهم، فاعتزلهم أهل صنعاء ولم ينقادوا لهم، فاجتمعت همدان كافة، وقصدوا السلطان حميد الدولة حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل.

[١] قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، ص٩٦.

٧- حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل

وهو السلطان حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل بن علي بن أبي زيد بن المعمر بن الصعب بن الفضل بن عبدالله بن سعيد بن الغوث بن ألغز بن يام بن أصبى، اليامي الهمداني، وكنيته "أبو الفضل"، ولقبله "حميد الدولة وشجاع الدين"، وصفه الخزرجي فقال:(كان أوحد عصره، وسلطان أهل بلده في دهره، وكان سيد همدان وكريمها ومقدمها وزعيمها.. وكان له من المفاخر مالم يكن لأحد قبله مع الفصاحة والرجاحة)[١]. ملك اليمن وضرب الدينار الحاتمي[٢]، ولما انقضت أيام بني الغشم الهبريين وافترقت كلمتهم ، اجتمعت همدان بأسرها على حاتم المذكور، وحملوه على القيام بالأمر وحلفوا له، فدخل صنعاء في سبع مائة فارس من همدان، وذلك في سنة ٥٣٣هـ.

ويقول الأكوع: "كان يلقب بشجاع الدين وكان إمامًا باللغة والأدب محققًا حافظا لأيام العرب وأمثالها، وأشعارها متكلما في كل نوع من أنواع الكلام والفنون بعبارات ملوك الكلام شاعرا مغلقًا، له معرفة تامة بالطب والنجوم. وصفوة القول فقد كان السلطان حاتم فذًا في جميع الأخلاق الإنسانية السامية مع سماحة وجود ومكارم وإن أسرة القاضي عمران بن الفضل قد امتازت بالنبوغ والعبقرية والرياسة والسلطان واتسمت بأرفع

---

[١] العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك، ص٧٤.
[٢] قرة العيون، ص٢٧٦، ٢٧٨.

الأخلاق فمن كرم وجود إلى وفاء ومروءة إلى شجاعة وبطولة إلى أدب وشعر إلى فقه ولغة وكانوا مثال العظمة والإجلال بحيث كانوا مهبط القلوب تأوي إلى أكنافهم العلماء والشراء والفضلاء والنبلاء، لعبوا دورًا هاما وخلفوا سجلًا حافلًا بجلائل الأعمال وكتبوا صفحة ناصعة مكللة بالإعجاب والإكبار.[1]

وفي أيام السلطان ظهر الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان، فحارب حاتمًا المذكور، وأخرجه من صنعاء في سنة خمس وأربعين وخمس مائة، ثم استرجع حاتم صنعاء من الإمام، ولم يزل باقيًا بها إلى أن توفي في سنة ٥٥٦هـ.

ولما رأى الشيخ الاديب عبد الله بن على جنازة السلطان حاتم بن أحمد على أعناق الرجال من همدان و حملوه من درب صنعاء إلى المنظر(الروضة) وقال الشيخ الاديب:

حقًّا أحاتمُ ما ينفكُّ منصلتا   حيًّا وميْتًا إمامُ الجحفلِ اللَّجبِ
ما إن رأينا فهذا عادةٌ عُرفت   طَوْدًا[2] يسيرُ على الأعناق في الخِيَبِ

وكان لحاتم المذكور من الشجاعة والبراعة والرجاحة والفصاحة مالم يكن لغيره[3]، وكان السلطان حاتم عاشقًا للخيل، بل كانت الفروسية من كبار مفاخره فقد كان مولعًا بركوب الخيل وباقتنائها، وكانت مرابض خيله زاخرة بكل جوادٍ أصيل، وكان عالمًا علمًا دقيقًا بأوصاف الخيل، فلا يقتني منها إلا

[1] قرة العيون في أخبار اليمن الميمون، ص(٢٠٥).
[2] الطود: الجبل
[3] قلائد الدهر في وفيات أعيان الدهر، (ص١٩٤-١٩٥).

ماكان يضرب في الأصالة بأعلى النسب، ويتحلى بأحسن الصفات، وله في الخيل عدة قصائد سنذكرها إن شاء الله.

بعد موت سبأ الصليحي سنة ٤٩٢هـ خرجت صنعاء وما والاها عن سلطة الصليحيين، وأصبح سلطانها بيد اليامیين من آل الغشم المغلسي، من هبرة، وكما أسلفنا كان أولهم حاتم بن الغشم(٤٩٢-٥٠٢هـ) وخلَفَه ابنه عبدالله بن حاتم(٥٠٢-٥٠٤هـ) ومن بعده تولى أخوه معن بن حاتم(٥٠٤-٥٠٥هـ)، فحصل في عصره اضطراب أنكرته همدان وقاضيها أحمد بن عمران –وهو والد السلطان حاتم- فجمع رؤساء همدان وخلع معن وولَّى آل القبيب من ألغز، واستمر حكم السلاطين من آل القبيب حتى سنة ٥٢٧هـ، وبعد نزاع آل القبيب اجتمعت همدان فقصدت السلطان حاتم بن أحمد فقام بالأمر ودخل صنعاء في سبعمائة فارس وأصبح سلطان صنعاء وماتبعها في سنة ٥٣٣هـ.

شعره:

أصدر السلطان حاتم بن أحمد إعلانه الأول فور تسلمه مقاليد الحكم، فقال: (الطويل)

يقولون لي قد حُزتَ مملكةَ الدربِ ... فأدمن على اللذات واللهو والشربِ
ولا تهجر الصهباءَ فهي لذيدةٌ ... مسهّلَةٌ ما كان من خَلَقٍ صعبِ
فقلتُ اذهبوا عني فلستُ ببارحٍ ... على مَذهَبِي حسبي به مذهبًا حسبي
صبا القومُ فانصبُّوا إلى أمِّ دفرِهِم ... ولستُ بمُنصَبٍّ إليها ولا صبِّ

وعندما دخلت جيوش المتوكل أطراف صنعاء، بعث السلطان حاتم بن أحمد بهذه البيتين للمتوكل: (الطويل)

أبا الورق الطلحيّ تأخذ أرضنا ولم تشتجر تحت العجاج رماحُ
وتأخذ صنعا وهي كرسي ملكنا ونحن بأطراف البلاد شحاحُ

وعندما توالى على حربه أهل صنعاء، وشعرت جماعتُهُ بالانخذال واساهُم ببيتيهِ الشهيرين قبل أن ينهزم ويخرج من صنعاء، التي استعادها فيما بعد:

(الطويل)

غَلَبْنَا بني حوَّاءَ شرقًا ومغربًا[1] ولكننا لم نستطع أن نغلِبَ الدهرِ
فلا لومَ فيما لا يُطاقُ وإنَّما يُلامُ الفتى فيما يُطاقُ من الأمرِ

ومن شعره فيمن تخلَّى عنه من أهل صنعاء في معركة صنعاء ضد الإمام المتوكل: (الكامل)

تركتُ أناسًا في غضارةِ عيشهم وأمِنتُهم من طارقِ الحدثانِ
وكنتُ لهم حصنًا حصينا وموئلًا وأصَلتُ سيفيَ دونَهُم ولساني
علَّمتُهم رميَ العدوّ فكلُّهُم تعمَّدني دونَ العدى فرماني

وله أنه عندما وصل إلى قبائل جنب ليجيِّشها في حربه ضد الإمام المتوكل الذي كان بدوره يريد نصرتهم للدفاع عن مُلكه ضد السلطان حاتم بن أحمد، دخل السلطان بلاد جنب في جماعة من قومه همدان لا ثقل لهم ولا رجالة

[1] وذكرت بصيغةٍ أخرى وهي: غلبنا بني حواء بأسًا وشدَّةً ولكننا لم نستطع أن نغلب الدهرِ

فوصل وقد اجتمعت قبائل جنب بأسرها لملقى الإمام أحمد بن سليمان "المتوكل" ومن وافقه إلى العود إلى صنعاء، فلما أقبل السلطان حاتم اليامي ومن معه أنكرتهم جنب وقالوا نرى أفراسًا ولا شك أنها همدانية فعرفوا السلطان حاتم فرحبوا به ودخل منفردًا وسط الحلقة على حصانه معتقلًا رمحه، فقال حياكم الله ياوجوه العرب لا يعيب عليَّ من خلفي فما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ولا وجهين في رأسه ثم قال وصلناكم يا وجوه العرب لأمر لكم فيه شرف ولنا فيه عز إلى حين، "وهذا كلام مختصر بليغ" ، فعرفت جنب مقصده، فقال: لما علمت أنكم في طلب صلاح وأخذ ذمم بينكم وهدم قتول من عشائركم رأيتُ أن ألمَّ شملكم وأقطع عنكم ما تحذرون وأتحمل من مالي ديات قتلاكم. فحمدته على ذلك جنب ومن حضر من قبائل العرب، ثم افترق ذلك الجمع وسار معهم إلى ذمار، وكتب إلى أهل صنعاء:[١]
(الكامل)

مملوكُ بعضِهِمُ ووالدُ بعضهم — وشقيق بعضهمُ وهذا جامعُ
يُنبيهمُ حملي دياتٍ عدةً — إن المكارمَ في الرقابِ ودائعُ
فليسرعوا من فورهم تصديرها — متعمّدين نفاذَ ما أنا صانعُ

وقال أيضًا: (الطويل)

تراهُم يريعونَ المآكلَ صُحبةً — وكلُّهُمُ بالحقِ للحقّ عارفُ
فهذا لمن لم يدنُ منهُ مؤالفٌ — وهذا لمن لم ينأ عنهُ مخالفُ

---

[١] قرة العيون في أخبار اليمن الميمون، ابن الديبع، (ص٢١٠).

وكان للسلطان حاتم بن أحمد من جياد الخيل مالم يكن لغيره كما ذكرنا قبل هذا، ومن جملتها الرازقي، وهو مهر مصمت أقرح، جلبه من نجد مع خيل كثيرة فاشترت كلها إلا الرازقي كان أعجف، وكان الذين جلبوا الخيل قد ضربوا بيوتًا من الشعر في قرية المنظر، فأشرف السلطان يومًا عليهم فرأى المهر المذكور قد ألجأته الكلاب إلى البيوت الشعر فوثب بيتين منها وثبة واحدة، فقال: أين نحن من هذا المهر فاشتراه من يومه وتولى تأديبه بنفسه، وسماه الرازقي، وقال فيه شعرًا: (الخفيف)

ليس للرازقِيّ فيما علمنا الـ ... ـآن ذنبٌ نعدُّهُ في الذنوبِ
غيرَ صبرٍ وحدّة ووقارٍ ... ونشاط مع الوقار وطيبِ
أفيضحى في الهدرِ تحت البقايا ... مالذاتِ العيوب غير الغيوبِ

وله أيضًا في جواده: (الطويل)

ولي قائدٌ نحوَ المنايا وسائقٌ ... يسوقُ إليها أو إليّ يسوقُها
وَهُنَّ المنايا أي وادٍ سلكنَهُ ... طريقي عليها أو عليَّ طريقُها

وكانت بين السلطان حاتم بن أحمد والإمام المتوكل أحمد بن سليمان مراسلات ومحاورات حتى أنه لما قال الإمام في السلطان حاتم بن أحمد عاقل لم ينتفع بعقله وطبيب لم ينتفع بطبه، فرد عليه السلطان حاتم بشعرٍ لم يُنقل منه شيء عدا اقتباسه لبيت المتنبي: "كدعواكَ كُلٌّ يدعي صحة

العقل"، ثم أجابه الإمام بشعر، ثم رد عليه السلطان بقصيدةٍ حُفظ منها بيتان فقط، وهي قوله: (الطويل)

لنا الأمرُ فيما حرَّم اللهُ والزجرُ ... وليس لكم نهيٌ هناك ولا أمرُ
و لا زالَ ذا فينا وذلِك فيكُمُ ... مدى الدهرِ حتى يأتيَ الحشرُ والنشرُ

وقد كان السلطان حاتم بن أحمد قد حاصر قلعةً وبها والي الإمام أحمد بن سليمان، محمد بن سالم الأبرهي، وأخذها ثم تقدم إلى قرية (نجر) فحاصرها وأخذها ثم تقدم إلى حصن ضباعين فأخذه ثم تقدم لشوابة فحارب أهل شوابة فظفر بدربهم وهدمه وقتل أسعد بن حسين الجنبي زعيم جنب، وراح السلطان حاتم يتمدح بفعلته فقال: (الوافر)

تقولُ ابنةُ اليامِيِّ لذَّ منامي ... ولذَّ لمثلي مشربي وطعامي
فتًى نَقَم الثأرُ الذي لم تطلّهُ ... "جُنيبٌ[1]" بسنحان الكرام ويامِ
متى أصبحت جنبٌ تطلُّ بنولها؟ ... وعاداتُها ملحٌ ورعيُ سوامِ

وله أيضًا يفتخر بخيله ويذكر مطاردته للذئب: (الطويل)

كتمتُ عن الإخوانِ ما بي فلم أجد ... لما بيَ نفعًا غير أن أتكلَّما
ظللتُ على ظهر المعلَّى كأنَّني ... على أجدلٍ ينقضُّ من أُفق السما
أطارُ سراحنًا يرى الضنكَ مسلكًا ... قويًّا ويستقوي الجنانَ مصمما
أُيَمِّمُهُ سهل اليفاع فينثني ... ويكره غير الوعرِ أن يتيمما

[1] يريد جنب، بطن من مذحج.

أُعطِّفُهُ ذاتَ الشمالِ لحتفهِ ... فينصاعُ في ذات اليمين ليسلما

فما زال هذا دأبنا طول يومنا ... إلى أن رقى لهنًا من الهضبِ واحتمى

فرُحتُ كمثلِ الصقرِ أخطأ صيدهُ ... أُكَتِّمُ غيظًا بيَّ لن يتكتَّما

وراح المعلّى مُحصرًا متمطِّرًا ... به مَرَحٌ يهتزُّ في السيرِ صلدما

فلم ترَ عيني كالمعلّى مُطهَّمًا ... يطاردُ سرحانًا ويحمل ضيغما

فمن مبلغٌ عنِّي عليًّا وصنوهُ[1] ... بأني أليمٌ فاثأرا وتلزَّما

فيُسراي من جذب العنانِ يخونني ... ويُمناي من جرّي الأصمَّ المقوَّما

وإلا ثنيتُ العزمَ نحوَ محمدٍ ... وعمروٌ وخيروشٍ[2] أولي الرمي والحمى

وناديتُ من قربٍ سريعًا وصُقَّرا ... وزدتُّهمُ منا عليًّا وشيظما[3]

فإن أبلغوني ما أُريدُ وشمَّروا ... وإلا ركبتُ الرازقيَّ المُطهَّرا

فحينئذٍ لا يعصمُ الذئبَ عاصمٌ ... ولو أنَّهُ يرقى إلى الجوِّ سُلَّما

ومن شعره قصيدة له طويلة، وأبياتها نحو الواحد وأربعين بيتًا، يقول فيها:

(الطويل)

أرِقْتُ وطال الليل و الغفلُ نائمُهْ ... و قد أفَلَت أشراطهُ و نعائمُهْ

وأورى زنادَ الهمّ في القلبِ جُذوةً ... إذا جاشَ من تيَّارِهِ متلاطمُهْ

يطفِّئُها العزمُ الذي عُرِفَت بهِ ... إذا لم يُطفِّها من الدمع ساجمُهْ

وما ذاك من شوقٍ ولا نأيُ معهدٍ ... ولا فقْدِ رسمٍ دارِساتٍ معالمُهْ

ولكن إذا خانَ الصديقُ صديقَهُ ... وصارَم بالأوهام من لا يصارمُهْ

ونكَّبَ عنَّا من نريدُ ودادهُ ... وسالَمَنا من لا نريدُ نسالمُهْ

---

[1] عليٌّ وهو علي بن السلطان حاتم، تولى الملك بعد وفاة والده حاتم بن أحمد، وصنوه هو السلطان بشر بن حاتم قائد الجيوش الحاتمية سنأتي بذكرهما، الصنو: الأخ.

[2] محمد، وهو الأمير محمد بن السلطان حاتم، وخيروش وعمرو أحفاد السلطان حاتم أبناء السلطانين علي وبشر، ويفخر بأنهم قد أصبحوا في عداد الفرسان.

[3] سريع و صقّر وشيظم، من خيل السلطان حاتم.

تعذَّر غمض العين وانتزحَ الكرا ... وباح من الأسرارِ ما أنا كاتمُهْ

غدا مائلًا عنا خليلٌ نودُّهُ ... على غيرِ جرمٍ بل علينا جرائمُهْ

ولاءَمَ قومًا غيرنا متكتِّمًا ... وجاهرنا باللومِ فيمن نلائمُهْ

ونجَّمَ فينا بل تنجَّمَ عازمًا ... وسلَّمنا الباري وضاعت عزائمُهْ

وسامحتُهُ كي يرعوي فارعوا سوى ... مقالَتَهُ لا أستطيعُ أُخاصِمُهْ

ولو أنني حاكمتُهُ لحججتُهُ ... ولكنني من حشمةٍ لا أُحاكِمُهْ

فيا صحبتي لينوا لهُ وارفقوا بهِ ... لينسلَّ منهُ حقدهُ وسخائمُهْ

أقِلُّوا عليهِ العتبَ يصفو ودادهُ ... وما كان في الحوباءِ فاللهُ عالمُهْ

ولا تيأسوا منهُ ولو أنَّ عودَهُ ... قسا فهو لدنُ العودِ والودُّ سالمُهْ

سعى جاهدًا في خدمتي غيرَ هائبٍ ... ملامًا ولم يردعهُ عنها لوائمُهْ

فلمَّا بلغنا غايةً ليس بعدها ... مرامٌ رأيتُ الودَّ مالت دعائمُهْ

وعاد إلى ضدّ الذي كان فاعلًا ... وعاودهُ وُسواسُهُ وهماهمُهْ

و دُمتُ على ودّي لهُ حينَ لم يَدُم ... وخيرُ وِدادِ المرءِ للمرءِ دائمُهْ

و ضاعَت على قُربِ العهودِ عُهُودَهُ ... وما نَفَعَت أَيْمانهُ و لوَازِمُهْ

أُعاتِبُهُ حينًا و حينًا أصُونهُ ... وطورًا أُناجيهِ وطَوْرًا أُكاتُمُهْ

وأرجو رجوعاً مِنهُ وهوَ مُصَمِّمٌ ... على غيِّهِ حتى كأنِّيَ ظالِمُهْ

ولا لامني إلا ملومٌ مُفنَّدٌ ... ولا لامهُ إلا على النكثِ لائمُهْ

وما أنا مِن إخلاصِهِ الود آيسٌ ... وإن لجَّ في إغرائِهِ من ينادمهْ

دليلُ صفاءِ الودِّ في المرء بشرهُ ... وشر خليلٍ عابس الوجه واجمُهْ

وللودِّ ما بين الأخلَّاءَ شاهدٌ ... أحاديثهم عندَ المغيبِ تراجمُهْ

أبا منذرٍ إن كان عندي عتيبةٌ ... حَرَجتَ فأعلمني بما أنتَ عالمُهْ

ولا تذرَ قولي في الرياح مبدَّداً ... وكفَّ جماحَ الشعرِ إذا أنا لازِمُهْ

دع المنَّ إمَّا كُنتَ أسديتَ صالحاً ... فمنُّ الفتى ما كان أبداهُ لائمُهْ

وتِمَّ على ما قد تقدَّمَ بيننا ... فأفضلُ فِعلِ العاملينَ خواتمُهْ

ورُم صالحاً في كلِّ سَعْيٍ سَعَيْتَهُ ... لِيُبلِغَكَ الرحمَنُ ما أنتَ رائمُهْ
و أقدَرَ سامٍ مُحصَرُ الجنبِ طامِحٌ ... بيعينيهِ يهدى واضحُ الوجهِ ساهمُهْ
صبيحٌ مُحيَّاهُ ، طويلٌ عِنانُهُ ... لِيانٌ مثانيهِ حِدادٌ مناجمُهْ
قِصارٌ شراسِيهُ طِوالٌ ضلوعهُ ... عِراضٌ حواميهِ لِطافٌ شكائمُهْ
شديدُ صَفاقَ البطنِ أعيطَ شَوذبٍ ... صلابٌ على طول المغازي قوائمُهْ
سليم الشظى عبل الشوى شنجُ النسا ... شديد القصائر سالِماتٌ مقادمُهْ
وفيٌّ بما ساررتُهُ وعَهِدتُهُ ... إليهِ إذا أودت بخلٍّ نمائمُهْ
غنيتُ بهِ عِن صاحِبِ مُتلَوِّنٍ ... كِحرباءِ قيظٍ لوَّحتُهُ سمائمُهْ
فَدَوْنَكَها كالبدرِ ليلةَ تمِّهِ ... وكالعنبرِ الشحريِّ فضَّت لطائمُهْ
يهذِّبُها فِكرٌ تحضَّرَ بَعدما ... بدا فهوَ صمَّامُ الكلامِ وصارِمُهْ
خبيرٌ بأبكارِ المعاني وعونها ... وبالشعرِ إذ نيطت عليهِ تمائمُهْ

وفاته:

توفي السلطان أحمد بن حاتم رحمه الله في يوم الجمعة العاشر من شهر رمضان سنة ٥٥٦هـ، وعقبه على المُلك ابنه السلطان علي بن حاتم اليامي.

٨- علي بن حاتم بن أحمد اليامي

وهو السلطان علي بن حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل اليامي، ابن السلطان حاتم بن أحمد، تولى الحكم يوم وفاة والده؛ إذ قام إخوته بشرًا وسبأ ومدرك وعمران ومحمد، حكم السلطان علي اليمن من سنة٥٥٦ إلى ٥٩٧هـ وفي عهده وصلت الدولة الحاتمية إلى أوج قوتها، وعندما آلت إليه المملكة خالفته همدان فقتلت أخاه عمران بن حاتم، فعفى عنهم.

كان جوادًا عادلًا كريمًا، وكان له في كل مخلاف والٍ يدبر أمور مخاليف دولته، وقد وصل إليه الأشراف يطلبون النجدة على حرب إمام صعدة ٥٥٧هـ[١]

وكان للملك علي بن حاتم اليامي ذكرٌ حسنٌ وصيت فقد كان داهيةً شجاعًا أديبًا، قصده كثير من شعراء الديار المصرية، ومدحوه فأكرمهم، ومنهم الرشيد بن الزبير[٢]، ولما عاد الرشيد إلى مصر سُئل عن اليمن فقال: وجدتُ فيها مدينة وهي زبيد ونزهة وهي صنعاء وملكًا كريمًا وهو علي بن حاتم[٣].

وفي سنة ٥٦١هـ خالف عليه رجل من همدان، فلما كثر أتباعه حاربهم وهزمهم فلجئوا إلى كوكبان وشبام، فلحقهم وأخرجهم من الحصن، وفي سنة ٥٦٥هـ خلَّص السلطان الشريف أحمد بن سليمان من سجن بني عمومته الأشراف القاسميين، وفي السنة التالية تقدم الشريف فشكر له فضله.

---

[١] العسجد المسبوك، ص٨٠-٨١.
[٢] هو أحمد بن علي بن إبراهيم بن علي بن الزبير، أبو الحسن الأسدي القرشي الأسواني، الملقب بالرشيد.
[٣] الأعلام - ج ٤ : عبد السلام بن الحسين - علي بن محمد، (ص٢٧٠).

واستقامت له اليمن واحتوى ملك أبيه، واستقوت شوكته، ونزل اليمن الأسفل لقتال بني مهدي، فأوقع بهم في الحبالى، فقتل منهم مقتلة عظيمة، وذلك في ربيع سنة ٥٦٨هـ، وحط في القاع خلف سوق الخميس، فنُسب ذلك الموضع إليه إلى الآن، فقيل قاع همدان، وعاد إلى الحبالى فأوقع بأهل المدينة، فقتلهم.[١]

وهذا بعد إنجاده لأبناء عمومته الزريعيين، ففي سنة ٥٦٨هـ أقيم التحالف بين الدولة الحاتمية والدولة الزريعية لقتال جيوش عبد النبي بن علي بن مهدي، الذي حاصر الملك عمران بن أحمد بن سبأ الزريعي في عدن، فاستصرخ بالملك علي بن حاتم فأنجده بفتيان همدان حاشد وبكيل وجنب وبني شهاب وسنحان وخولان، وقاد السلطان علي بن حاتم اليامي تلك المجامع بنفسه، وفي مخلاف جبلة و إب التقى الجمعان، علي بن حاتم اليامي الكهلاني وجيش عبدالنبي بن علي بن مهدي الحميري يلتقيان للفناء لا للبقاء، للموت لا للحياة، وعلى هذه السهول والجبال ابتدأت المعارك التي أفنت الأبطال والفرسان وخُتمت بمعركة تعز التي أكلت الأخضر واليابس، وانتهت بانتصار السلطان علي بن حاتم اليامي، وفك الحصار عن عدن وعودة الزريعي إلى مملكته، وفرار ابن مهدي من تعز إلى زبيد، و قد همَّ الملك علي بن حاتم باللحاق به، ثم بدت له العودة إلى صنعاء، فعاد ابن مهدي إلى تعز، وقد جنت هذه المعارك على اليمن والعروبة جناية بعيدة الأثر فإن كل

---

[١] بهجة الزمن، (ص١٠٥).

الطرفين خرج منهوكًا، مما أدى لاستعادة السليمانيين مخلافهم الذي سيطر عليه المهديون، ومهّد الطريق لاستعادة الرسيين مكانتهم، ونفوذ توران شاه لدخول اليمن.[١]

وفي سنة ٥٦٩هـ أقبل توران شاه الأيوبي للسيطرة على اليمن، على رأس جيش جهزه له صلاح الدين الأيوبي، فدخل اليمن واتخذ من تعز عاصمةً له، فكان بين السلطان علي بن حاتم وبين الأيوبيين حروب عظيمة حتى وفاته بحصنه في ذي مرمر سنة ٥٩٧هـ.

شعره:

ومن شعره قوله: (الطويل)

ألا ليت مولانا المطهَّر إذ ثوى ... بصنعاءَ مازمَّت إلينا ركائبه

ويا ليتهُ لما توادع أهلهُ ... بصعدةَ قد سدت عليهِ مذاهبه

وياليت أبناء حاتم يوم موتهِ ... فدتهُ وما قامت عليه نوادبه

وليتَ عليَّ الألغزيَّ[٢] بنَ حاتمِ ... فداهُ بما يحوي وما هو كاسبه

تكوَّرت الشمس المنيرةُ واغتدى ... إليها كليلٌ لاح فيه كواكبه

ورُجّت أزال والمخاليف حولها ... وهُدَّ من الدرب المنيعِ جوانبه

فيا يومهُ والله ما يوم حاتم ... أبينا يداني يومهُ ويقاربه

فضاقت علينا الأرضُ واللهِ والسما ... وقد سهدت إخوانهُ وأصاحبه

يقلُّ له خرمُ الأنوفِ وجدعها ... ولو قُطعت من كلِّ كفٍّ رواحبه

وعُقِّرَت خيلُ الجيادِ وحُطِّمت ... رماحٌ ومن بيض الحديد قواضبه

---

[١] اليمن الإنسان والحضارة، عبدالله بن عبدالوهاب المجاهد الشماحي، ص١٣٥ (بتصرف).

[٢] الألغزي: نسبةً إلى ألغز بن مذكر، أحد فرعيّ قبائل آل فاطمة من يام.

وجُزَّت شعور المحصنات وسوِّدَت وجوهٌ وقامت صارخات نوادبه

ولكن سلكنا فيه سيرةَ أهلهِ وما فعلت أشياعهُ وأقاربه

فيا بن أمير المؤمنين ومن لهُ سوابقُ مجدٍ ليس تُحصى مناقبه

غزتنا صروف الدهر بابنك إذ ثوى لدينا بليلٍ حطَّ علينا نوائبه

ودارت على همدان يوم مصابهِ لعظم مصاب ابن الإمام مصائبه

فيا موت لمَ لمْ تفدناهُ بنصفنا ويسلمُ مولانا الذي أنت طالبه

ألا لا يُسرُّ الشامتونَ بما جرى علينا فإن الدهر جمٌّ عجائبه

فعزِّ أميرَ المؤمنينَ وقل لهُ لقد نابنا والله ماهو نائبه

فصبرك فاتَ الصبرُ منَّا فهب لنا من الصبر مهما أنت للجودِ واهبه

أبا حسن إن لك اليوم طاعةً وجرِّب فما للمرءِ إلا تجاربه

نوالي مواليك الولاء وإننا نحاربُ في أيامنا من تحاربه

وإن تبغِ من همدان جيشًا ونصرةً تزُرك على بعد المزار ركائبه

٩- بشر بن حاتم اليامي

وهو شقيق السلطان علي بن حاتم، وثاني أبناء السلطان حاتم الستة، كان السلطان بشر فارسًا فطنا، صاحب خلق رفيع ونجدة وشهامة، وصفه محمد الأكوع فقال: هو أحد سلاطين العرب، وأساطين الأدب، وأحد الدعامات التي ركزت قواعد دولة أبيه حاتم بن أحمد وأخيه السلطان علي بن حاتم، وكان بيده جنودٌ وحصون، عالي الهمة عظيم الشأن رفيع المكان، وله أولاد وأحفاد كانوا مُثل الفضل والنبل ليوث وغى وغيوث ندى مع أدبٍ غضٍّ طري، وأخلاق أرق من النسيم، وأعذب من التسنيم[١]. وذكر صاحب (السمط الغالي الثمن) وفادته على الملك الأيوبي العزيز إلى تعز، قال (ولقيته الكرامات من ذمار... حتى وصل إلى تعز، وحضر بمقام الملك العزيز فأجلَّه، وأكرم مثواه، وأحسن إليه الإحسان المتناهي، ومن جملته أنه خلع عليه خلعة الخليفة التي كانت للملك العزيز، وسيفه وطوق ذهب، وكزّ نضار، وغير ذلك وأحسن إلى كل من وصل من صحبته)[٢].

ومما يدل على رفيع قدره أيضًا أنه كان محبًّا للعرب، ولا سيما أهل وطنه، فعلى الرغم من إجلال الملك الأيوبي للسلطان بشر، فإنه رفض أن يأخذ حصن الدملؤة للملك سنة ٥٨٤هـ، قال مؤلف السمط(واطَّلع النائب في الدملؤة على وصول السلطان بشر بن حاتم، وما كان له عند الملك العزيز

[١] قرة العيون، هامش ص٢٧٧.
[٢] السمط الغالي الثمن، الأمير محمد الحاتمي اليامي، ص٣٠.

من الكرامة والجلالة، فراسل الملك العزيز بأنه يسلم له الدملؤة، واقترح أن يكون تسليمها على يد السلطان بشر بن حاتم، وأن يسلم له الملك عشرة آلاف دينار، وسأل الملك من السلطان بشر المسير إلى الجوَّة، وخطاب النائب على تمام هذا الأمر، فرفضه السلطان بشر خشية لوائم العربان على انتزاعه الدملؤة للغُزّ)[1] فدلت خشيته من خروج الحصن إلى أيدي الأيوبيين، على حبه لأهل وطنه، وخوفه أن يذاع بين العرب أنه نصير للغزاة الأيوبيين.

امتد العمر بالسلطان بشر بعد وفاة أخيه السلطان علي بن حاتم سنة ٥٩٧هـ، فأصبح المُقدَّم في همدان بعد أخيه، وذكر صاحب السمط إهداء سنقر الأيوبي للسلطان بشر عشرين حصانًا وعُددها ليحمل عليها من كان معه، وهذا في سنة ٦٠٤هـ، أي أن السلطان بشرًا كان ما يزال بقوة الفارس حينها، وربما طال عمره إلى ما بعد هذا العام[2].

شعره:

بيت يتيم ذُكر في السيرة المنصورية وهو: (الخفيف)

تألَّق برقٌ بالحمى فشجاني فحاباهُ مني القلبُ بالخفقانِ

وعندما تحرر السلطان بشر من الأسر، أرسل إليه عبدالله بن حمزة الهاشمي قصيدة يقول فيها: (الطويل)

[1] السمط الغالي الثمن، ص٣٠-٣١.
[2] حاتم بن أحمد الهمداني – سلطان صنعاء (٥٣٣-٥٥٦هـ) حياته وماتبقى من شعره، د. عبدالرحمن الحذيفي.

آبَت لأوبتِكَ العلياءُ والظفرُ
إلى منازلنا والشمسُ والقمرُ
يا أيها الملك من يامٍ ومن شهدت
بفضلِ همته الأعدا وما شعروا

إلى قوله:

يا مقلة الدهر دمتِ الدهرَ نائمةً
أمثل بشرٍ يوافينا بهِ القَدَرُ
يا عُظم ما فعل الأعدا وما عملوا
وأيُّ ليثٍ وما طاحَ القنا أسروا
فأنعم أبا حسنٍ في المُلكِ مُفترشًا
نمارقُ العزِّ مهما أورق الشجرُ

ثم يقول في آخر القصيدة:

يا حيَّ همدان هل صفّينُ شاهدةٌ
أو النخيلة أو مهرانَ والنهرُ
بفعلةٍ من شيوخٍ منكُمُ سَلَفوا
وهل فعالُهُمُ المحمودُ ينحصرُ
فَجَددوا ما مضى من فعل أولِّكُم
فليسَ يُحمدُ لولا الصارمُ الأثرُ

فكان الجواب من السلطان بشر بن حاتم قوله:

أروضةُ الحزنِ وُشّيَ بينها الزّهرُ
أم نظمِ لفظكَ ضمَّن الطرسَ أم دررُ
أودعت أثناءه غرّاءَ سائرةً
كالنجمُ يحدو بهِ من خلفِهِ السَّفَرُ
حذاء ما وردت صقعًا ولا بلدًا
إلا وأزعجها عن جوِّه الصَّدرُ
تطوي بها الفيح عرض البيد عن عَرَضٍ
طورًا ويصعدُ مختارًا وينحدرُ
فما أقامت على قومٍ مخيَّمةً
فمكثُها ريثما تروى وتنتشرُ
حتى أتتنا على بعد المزارِ بها
حوض الرواسم أفنى نخصها السفرُ
أهدت إلينا نسيمَ الودِّ أحرفها
كأنها الروضُ نشرًا جادهُ المطرُ
جاءت مهنّئةً ممن غدا ملكًا
في فعله وهوَ في تصويرِهِ بَشَرُ
بفكِّ أسريَ عن قومٍ زعانفةً
في ذمهم قد تساوى الخُبْرُ والخَبَرُ
لولا سعادتُك الميمونُ طائرها
ياذا العلا لانقضى للكاشح الوطرُ

فأنبأتنا بأن الفضل أنت لهُ ... أهل وآباؤكَ المحمودة الأثرُ
القادة السادة الأمجاد من لهمُ ... قدرٌ دنا دونه في برجِهِ القمرُ
بفضلهم نطقت في الذكر معربةً ... آياتُهُ المحكماتُ الغرُّ والسوَرُ
يا ابن النبي الذي طابت مغارسهُ ... وطاب من طيبها في فرعهِ الثمرُ
مابعد فخركَ من فخرٍ لمفتخرٍ ... كلا وإني بماذا كان يفتخرُ
لله درك بين الخيلِ مبتسمًا ... والبيض تبكي دمًا والنقعُ معتكرُ
عين المودةِ بالإخلاصِ دانيةٌ ... وإن تباعدت الأشباحُ والصوَرُ
ألستَ من هاشم الغر الذي هشموا ... من الأعادي عظامًا ليس تنجبرُ
إن الوفا لك طبعٌ لا تفارقهُ ... وليس يخرج من حالاته القمرُ
ماكان مثلك في بأسٍ ولا كرمٍ ... ولا تدل على مثلٍ لكَ السيَرُ
الحدُّ يخدمُ من جداهُ حيدرةً ... وأحمد المصطفى والنصرُ والظفرُ
بُعدًا لقومٍ قِرى الضيفانِ عندَهُمُ ... أسرٌ وحبسٌ فلا كانوا ولا انتصروا
بتُّوا العقود وخانوا في العهودِ وما ... أبقوا على حلفهم بقيًا ولا وذروا
قد أظهروا منهمُ الإنصافَ رائقةً ... وتحتهُ السُّمُ في مكنونهِ الخطرُ
وغرَّني فيهُمُ طيبي وكنتُ كمن ... يرمي بزوراءَ لم يُحكَم لها وترُ
ماكان يخطرُ في بالي بأنَّهُمُ ... إذا وفى لهمُ ذو نجدةٍ غدروا
وكلما قد قضاهُ الله من قدرٍ ... فليس يُنجي الفتى من كَونِهِ الحَذَرُ
لكن بسعدك لم يظفر بنا مذقٌ ... حلوُ اللسانِ جناهُ المرُّ والصَّبِرُ
وابق الليالي في عزٍّ موطَّدةٌ ... أركانُهُ شادها التوفيقُ والظَفَرُ

وفاته:

عاش كما أسلفنا إلى مابعد ٦٠٤هـ، ولم يُحدد تاريخ وفاته.

١٠- مسعود بن علي بن حاتم اليامي

وهو السلطان مسعود أحد أبناء السلطان علي بن حاتم التسعة، كانت في يده بعض الحصون، وكان من قادة الجيوش الحاتمية في بعض المواقع، شارك في حرب ميتك التي دارت رحاها بين والده السلطان علي بن حاتم والإمام المنصور عبدالله بن حمزة، وكانت قيادة جيش السلطان في يد أخيه السلطان عمرو بن علي اليامي، كما شارك فيما بعد إلى جانب الإمام وسلاطين اليمن في حروبهم على الأيوبيين، وفي معركة كوكبان كانت للشقيق الأكبر للسلطان عمرو بن علي ميسرة الجيش، ولعمه السلطان بشر بن حاتم الميمنة، كما شارك أيضا في تحرير عمه السلطان بشر بن حاتم من الأسر.

شعره:

لم يرد من شعره إلا قصيدة واحده، وهي: (السريع)

يا غاديًا والصبحُ لم ينجلي	وعسكرُ الظلماء لم يُفلَلِ
وواقع النسرين يهوي كما	يهوي سنان الرمح للمقتلِ
وقد صغى العيوقَ في أُفقِهِ	للغربِ يحكي مقلةُ الأحولِ
وفي سهلٍ خَفَقانٌ كما	ريع فؤاد النخب الأعزلِ
ترمي به البيداءُ بيدائِهِ	وتقطعُ الهوجل بالهوجلِ
أوِب وأدلِج وتهجَّد ولا	تربع على ربع ولا منزلِ
و اطوِ الفلا حتى توافي طوى	واخلع به نعليك ثم ادخلِ

فنارُ موسى نارهُ والهدى وجهُ إمام الأمةِ الأفضلِ
وجانِب الطور له منزلٌ فحيثَ ما وافيتهُ فانزلِ
والثم تراب الأرضَ في سوحه فإنَّهُ أزكى من المندلِ
فكل فضل كان أو سؤددٌ مفصّل في الغد أو مجملِ
فهو لعبدالله مولى الورى نجل النبيِّ المصطفى المرسلِ
بحر الندى والعلم بدرُ الهدى سم المعادي وثمال الولي
تاجُ بني الزهراءَ بل خير من يدعو أباهُ أحمدا أو علي
معطي البرايا رشدهم بعد أن كانوا من الحيرة في مجهلِ
إني على بيعته لم أحل عن ذلك العهد ولم أحلُلِ
ألقى إلهي بولائي لهُ وقد واتيتُ الله نعم الولي
هدى أبيه النبي المصطفى هديهُ فهل لنا عن ذاك من معدل
لكنني لم آله خدمة وصح لا وانٍ ولا موتلي
أرجو ثواب الله لا غيرهُ وأطلبُ الزلفةَ عند العلي
فصارَ ذمًّا ذلك الحمدُ لي وعاد ذاك الشهدُ من حنظلِ
ورمتُ تجديد الذي بيننا فكان هذا سببًا أن بُلي
فقل لعبدالله إمام الهدى ووجه قول الحق قولٌ جلي
ما بال من يمحضكم ودَّهُ عن ودكم يصبحُ في معزلِ
قد كنتُ أرجو حمدَهُ فعلة فكيفَ أكفي ذمَّها كيف لي

لا يُعلم تاريخ وفاته، لكنه عاش بين ٥٥٠-٦٢٠هـ تقريبًا، وورد له خبر مع ابن معه السلطان علوان بن بشر سنة ٦١٤هـ.

١١- عمرو بن بشر بن حاتم

وهو الأمير عمرو بن السلطان بشر بن حاتم بن عمران بن الفضل اليامي، عُرف بفروسيته وفصاحته، وفي عام ٥٨٥هـ غزا الملك العزيز الأيوبي حصون آل حاتم اليامیین، وتمكن من الاستيلاء على بعضها، وفي حصن الفص الكبير قاتل الأميرين عمرو بن بشر وأخيه علوان بن بشر واستطاع الجيش أن يأسرهما[١]، ثم عارض الركب شقيقهما الثالث علي بن بشر وكان مغيرًا على صنعاء، فاشتبك مع الجيش الأيوبي، ولم يُذكر بعد هذا الخبر.

شعره:

ورد للأمير عمرو بن بشر قصيدة واحدة يُسندها إلى والده السلطان بشر بعد أن وقع وإخوته في الأسر، فيقول: (الطويل)

أمولايَ ما أسري ببدعٍ فلم يَزَل	كذا الناسُ مأسورٌ وآخرُ آسرُ
وإن ظَفِر المولى بنا وبحصننا	فـ للهِ مظفورٌ وللهِ ظافرُ
مليكٌ عزيزٌ لا يُعَيَّرُ نابُهُ	لسانٌ مُذِلٌّ للجبابرِ قاهرُ
فلا غَروَ كم منعٍ قهرنا وسيِّدٍ	أسرنا، وأعطتنا المقادُ العشائرُ
على ذا ممرُّ الدهرِ عسرٌ مُبدَّلٌ	بِيُسرٍ قَضَتْهُ حكمةٌ ومقادرُ
فلا تحسبنْ أني جزوعٌ لما جرى	وحَقُّكَ أنِّي صادقُ العزمِ صابرُ

[١] وردت القصة في السمط الغالي الثمن، ص٣٢، ص٣٥، وفي العسجد المسبوك، ص١٦٥.

وما أنا أخشى غيرَ قولِ أراذلٍ أَوالِدُهُم عن فكِّهِم مُتقَاصِرُ؟
وما شعروا أنَّ العظائِمَ كُلَّها الـ ـكبارُ وإن هالت لديكَ أصاغرُ
لسَعدِ عليٍّ[1] مُلْكُ همدانَ نرتجي وسَعْدُكَ أن تنجابَ عنَّا الدياجِرُ
فما إن لنا إلاكُمَا بعدَ ربنا وعطفٌ من المولى مُعينٌ وناصرُ

ليس له تاريخ وفاة محدد ولكنه كان فارسًا في سنة ٥٨٥هـ فقد تكون وفاته بعد ٦٣٠هـ.

[1] السلطان علي بن حاتم، وهو عم الشاعر.

١٢- علوان بن بشر بن حاتم

وهو شقيق السلطان عمرو بن بشر، وقد وقع في أسر الأيوبيين كما تقدم مع أخويه، شارك مع ابن عمه السلطان مسعود بن علي في صد هجوم عز الدين ابن الإمام المنصور الزيدي على مدينة صنعاء سنة ٦١٤[١]، وفي عام ٦٢٣ قاد السلطان علوان وابن عمه السلطان سالم بن علي قبائل همدان، لصد هجوم آخر قادم من الشمال يقوده عز الدين محمد بن الإمام المنصور عبدالله بن حمزة، وهُزم الأشراف وفر عز الدين من المعركة، وفر معه أشراف قومه، وهذه المعركة هي معركة "عصر".[٢]

شعره:

له قصيدة واحدة قالها بعد معركة عصر وأرسلها إلى عز الدين بعد هزيمته، ويقول: (الوافر)

أساداتُ الورى من كُلِّ حيٍّ ... وأسمى في المعالي من يُسامي
وأربَطُها لدى الهيجاءِ بأسًا ... وأحماها إذا عُدِمَ المحامي
أُهنِّئُكم قدومَ العيدِ فرضًا ... عليَّ، فَعُدتُمُ في كلِّ عامِ
وأُهدي نحوَكُم أزكى سلامي ... إلى المأمومِ منكُم والإمام
وأسمعُكُم، أحقًّا ما سمعنا؟ ... فما يَشفِي سوى صدق الكلامِ
بأنَّ جموعَكُم طارت شَعَاعًا[٣] ... ولمَّا تخشَ عاقبة الملامِ
وولَّت غيرَ كاسبةٍ ثناءً ... فِرارًا لم تَكُرَّ ولم تُحامي

---

[١] السمط الغالي الثمن، ص١٧٠
[٢] السمط الغالي الثمن، ص١٨٠.
[٣] شعاعا: فرارًا

سوى عشرٍ، فحيَّا اللهُ عشرًا تحامت من بني حامٍ وسامِ

وخيلُهُمُ إلى مئةٍ وعشرٍ وهُم مابينَ رمَّاحِ ورامي

فماذا تصنعونَ إذا ألمَّت جنودُ المُلكِ في يمنٍ وشامِ

ولاحت راية المسعودِ فيها كلائحةٍ على أرجاء طامِ؟

هُنالِكَ تندَمونَ ولا محيصٌ إذا حُمَّ القضاءُ لدى الحِمامِ

فإن تقبل نصيحةَ ذي ودادٍ فإن النُّصحَ من شِيَمِ الكرامِ

أتيتُم طائعينَ إلى مليكٍ شريفُ النفسِ ذي منَنٍ جسامِ

فتًى هَزَّت بنو أيوبَ منهُ حُسامَ مَضَى يفُلُّ شبا الحسامِ

وقلَّدت الأمور إليه لمَّا غدا لا بالددانِ ولا الكهامِ

وقالت عند ذلكَ قولُ فذٍّ أديبٌ شاعرٌ حسنِ النظامِ

فأعطِ القوسَ باريها ودَعها فقد أودعتها في كفِّ رامي

فذبَّ برأيهِ والسيفُ عنهُم وقامَ بمُلكِهِم أوفى قيامِ

١٣-مدرك بن بشر بن حاتم

وهو الابن الرابع من أبناء السلطان بشر بن حاتم، أول ذكر له كان سنة ٦٢٣هـ، كان مدرك أحد الفرسان الشعراء، وكان مُقدّمًا بين همدان، وشارك في معركة عصر ضد الأشراف.

شعره:

قال الأمير مدرك بن بشر هذه القصيدة وأرسلها إلى عز الدين بن الإمام المنصور بعد معركة عصر: (الكامل)

غُضِّي رناكِ عن الهِزَبرِ المُخَدَّرِ ... و قِفِي قليلًا لا أبا لكِ وانظري

عما قليلٍ والفلاةُ تجسُّها ... أيدي السِّباع بكل ظُفرِ أخضرِ

ما بين منجدلٍ يخرُّ لوجههِ ... ومضرَّجٍ بدمائِهِ ومُعفَّرِ

فالبحرُ يجزرُ بعد مدِّ عُبابهِ الـ ... طامي ولا عجبٌ لجزرِ الأبحُرِ

يا سطوةَ المريخِ، لولا سطوةُ الـ ... مقدورِ ما أيقظتِ طرفَ المُشتري

ياعزَّ دين الله، كم من مهجةٍ ... حَمَدَتْكَ حينَ سَلَلْتَ صافي الجوهرِ

غادرتَ في ضَرَمِ الوطيسِ بِحسِّها ... والموتُ يمشي مشيةَ المُتَبَخْترِ

حتى تَحَامَتكَ العِدا وبتكْتَ أسـ ... ـبابَ الَّردَى وقطعتَ أُمَّ حَبَوكَرِ

فلأنتُمُ أولى ببيتٍ قالهُ ... حسّانُ يُروى في قديمِ الأعصرِ

فَتِقَت لكُم ريحُ الجلادِ بعنبرٍ ... وأمدَّكُم فَلَقَ الصباحِ المُسفرِ

فليَهنُكُم حمدُ المعالي بأسَكُم ... لمَّا تدانى عَسكرٌ من عَسكَرِ

هي غلطةٌ في الدهرِ لا بل غِبطةٌ ... أودت بسهلِ الوردِ ضنكَ المصدرِ

إن لم تكُن أمسًا فقد كانت لكُم   من قبلهِ وغدًا لكُم فاستبشرِ

وقال أيضًا في ذات المعركة: (الطويل)

سَلا ذاتَ سمطِ الدُّرِّ والمارنُ الأقنى   لدى عصُر من أصدق الضربَ والطعنا
ومن شهِدَت صنعاءُ لولا بلاؤهُ   لَمَا فارقت رُعبًا ولا فارقت أمنا
وقد كانت البيضُ الخرائد خيفة الـ   ـسبا من أعادينا أسأنَ بنا الظنا
فلما تدانى الفيلقانِ عشيَّةً   غدا الهامُ فيها منهمُ والظبا منَّا
وخيلٍ حشوناها الأسنَّةَ بعدما   تكدَّسنَ من هُنَّا علينا ومن هُنَّا
ضُربنَ إلينا بالسياطِ جهالةً   فلما تعاركنا ضُربنَ بها عنَّا
وشيمَتُنا وصلُ السيوف بخطونا   إذا أقصرت حتى تُبيد العِدا طحنا
ونحنُ متى شئنا دَسَرنا عدوَّنا   ولا نحتقِبْ حقدًا دفينًا ولا ضغنا
فلا زالت الأخبارُ منكم تسرُّنا   كما سرَّكُم في مِصرَ مخبرُكُم عنَّا

١٤- عزان بن عمرو بن بشر

وهو حفيد السلطان بشر من ابنه الأكبر السلطان عمرو، كان فارسًا معدودًا في كبار همدان، بل شاعرهم المقدَّم في وقته، وهو الذي أنشأ القصيدة التي تندد بعامل الإمام أحمد بن الحسين في أواخر ٦٤٨هـ عندما دخل هذا الإمام صنعاء مستَغِلًّا انشغال الدولة الرسولية بمقتل مؤسسها الملك عمر بن علي سنة ٦٤٧، وكان عامل الإمام الرقيمي قد أفسد زرع هذا الفارس، ولم يلبث الشاعر حتى ندَّد بالإمام الزيدي عندما، فتركته[١] همدان وانحازت عنه إلى حصونها، ووالوا الملك المظفر الرسولي بعد أبيه، وكانت الأمير عزان مستشارًا مُطاعًا عند صاحب عسكر الدولة الرسولية، وكان الملك يستصوب رأيه ويستجديه ويعمل به، وقد أوصى الملك الأمير محمد بن نجاح بألا يفعل شيئا إلا برأي الأمير عزان ومشورته ولا ينفرد عنه بالأمر[٢].

شعره:

قال هذه القصيدة وأرسلها إلى قومه، يندد بالرقيمي عامل الإمام: (الطويل)

لضربُ طُلى بالمرهفاتِ الصوارمِ ... وطعنُ الكُلى بالذابلات اللهاذمِ
وحملُ رؤوس الدارعينَ على القنا ... تُحيتَ عجاج القسطل المُتراكمِ
وكرُّ عوادي الخيلِ ترمي كلومُها ... على ضُمَّرِ الخيلِ العتاقِ السوائمِ
أحبُّ إلى ذي اللُبِّ من ضيمِ ساقطٍ ... لئيمٌ وأشهى من ظلامات ظالمِ
فمن مبلغٌ همدانَ عنَّا ألوكةً[٣] ... ولا سيما الساداتِ من آل حاتمِ

[١] أي تركت الإمام.
[٢] السمط الغالي الثمن، ص٣٩٥، ٣٩٦.
[٣] الألوكة: الرسالة.

ويُعلنُ في يامِ بن أصبى نداءَهُ … فَ يامٌ حُماةٌ من حُماةٍ أكارِمِ

ويهتفُ في حَيَّي بكيلٍ وحاشدٍ … لكلِّ هِزَبْرٍ في الهياج ضياغِمِ

بأنَّ الرُّقيمي ارتقى عودَ مجدهم … فصدَّ أعاليهِ بأيدي المظالِمِ

أغارَ على زرعي بِأَلْأَمَ عُصبةٍ … فأصبحَ زرعيَ منهُ صفرُ المظالِمِ

وحكَّمَ في زرعي كلابَ صِحابِهِ … ولم يُمسِ فيما كان مِنهُ بنادمِ

ولو كان ذا رأيَ الإمام لسرَّني … ولم تدخل الأضغانُ بينَ الحيازِمِ

وطاوَعتُ فيما كان في آل حاتمٍ … فما زالَ في الأحكامِ أعدلُ حاكمِ

ولكنَّها آراءُ كلبٍ و قلَّما … نُحكِّمُ رأيَ الوغدِ واهي العزائمِ

بربِّي لقد عَدَّى الرقيميُّ دورهُ … وقامَ على همدانَ قومةَ ناقمِ

وما كُنتُ عن قتلِ الرقيميِّ عاجزًا … ولو أنَّهُ ليثُ الكفاح ابنُ ظالمِ

ولكنَّ راقبتُ الإمام ومعشري … بني حاتمٍ أهل الندى والمكارِمِ

عرفتُ لقوميَ عزةً وحميَّةً … تُفرِّقُ مابينَ الطُّلى والجماجمِ

وفي مذكرٍ من ليسَ يذهبُ وِترهُ … ولو أنَّهُ بين السُّها والنعائمِ

وما دامَ في همدانَ من يُرعفُ القنا … بلغتُ المُنى بالمرهفاتِ الصوارمِ

وكافيتُ أكفائي فأمَّا مُحمَّدٌ … فأكفاؤهُ الأنذالُ أهلُ المحاجمِ

خليليَّ ما مثلي على الضيمِ صابرٌ … ولو شَجَرت سمرُ القنا في الغلاصمِ

أَأُغمُضُ طرفي دونَ ثأري ومعشري … بنو حاتمٍ أهلُ العلى والمكارمِ

وألبسُ ثوب الذلِّ؟ إني لزُمَّلٌ … إذًا، وسناني ذي بذلتُ وصارمي

وفي ذروة الطودِ المنيفِ ذَمرمرٍ … ضراغمُ حربٍ كالليوثِ الضراغمِ

غطاريفُ من آل الحَميدِ بن أحمد[١] … خضارمُ تزري بالبحورِ الخضارمِ

وفي حصنِي الفصَّينِ منَّا عصابةٌ … كأسدِ الشرى في المأزق المُتلاحمِ

بني حاتمٍ هلَّا دعتكُم لنصرتي … حميَّةَ همدانٍ أُسودُ الملاحمِ

---

[١] الحميد بن أحمد: السلطان حاتم بن أحمد جد السلالة الحاتمية، وكان يُلقَّب حميد الدولة.

وقال أيضًا يجيّش أبناء عمومته على حرب الإمام: (الطويل)

حَاَبْتُ زمانيَ يا ابنةَ العمِّ أشطُرا ... وقلَّبتُ آرائي بطونًا وأظهُرا

ورُمتُ فلم أُقدِم على ما أرومُهُ ... مخافةَ أُرضي الشامتِينَ وأضْجَرَا

ولا سَاعَدَتني هِمَّةٌ مَذكّرِيَّةٌ ... على أن أُرى عن مذهبي مُتَنكَّرا

فمن يُبلِغُ المنصورِ عنَّا شكيَّةً ... ويُبلِغُ يحيى بنَ الحسينِ وجعفرا

ومن مُبلغٌ عنَّا النبيَّ محمدًا ... ومن مُبلغٌ عن البتولَ وحيدرا

بأن إمامًا قام بعدَ ابن حمزةٍ ... أقام حقوقَ الدينِ حولًا وأشهُرا

فلمَّا استقلت في أزالَ ركابُهُ ... أناخَ على الإسلامِ حتى تدعثرا

أباح داءَ المسلمينَ ومالها ... وكان رجاها أن يقومَ وينصُرا

فيا معشرَ الإسلام لم يبَق مُنصِفٌ ... ولا منكِرٌ إلا أتى الله مُنكرا

فإن تثأروا أو تنكروا كان عاجلا ... وإلا قصدنا الأريحيَّ المُظفَّرا

كبيرُ بني غسَّانَ وابنَ كبيرِهِم ... وحامي حِماها أن يُضامَ ويُقهرا

فتًى همُّهُ فتحُ الثغورِ وسدُّها ... إذا كان همُّ النكسِ كأسًا ومِزهرا

حَمَى المُلكَ بالبيضِ الصوارمِ والقنا ... فأنسى بكسرى في الملوكِ وقيصرا

وشادَ العُلا حتى استقرَّت أُصولُها ... وشاد عليها مفخرًا ثم مفخرا

هنالك تلقى النَّيْلَ والخيرَ والغنى ... وجُردًا تُباري في الأعِنَّةِ ضُمَّرا

وزُرنا براشًا والجوادَ محمدًا ... فمن زارَهُ لم يغدُ في الناسِ مُعسِرا

هُمامٌ كنصلِ السيفِ يهتزُّ للعُلى ... ويغشى نواضيها ورودًا ومصدرا

ويجلِبُها مابين أحمرَ صلدمٍ ... وأدهمَ كالليلِ البهيمِ وأشقرا

ويرمي بها رُكنيْ أزالَ فلا ترى ... لجولتها إلا صريعًا مُعفَّرا

كفعلِ أبيهِ يومَ جرَّدَ سَيْفَهُ ... عشيَّةَ لاقى الألفَ أبلجَ مُسفِرا

ومنا له الإسعادُ بالطعنِ في الكُلى ... وضربِ الطُلى حتى ترى النقعَ أكدرا

وما ذاك للمهديِّ بُغضًا ولا جفا ... ولا مخرجًا من مذهبٍ كان أزهرا

ولا خطَّةً نخشى من الله إثمَهَا ... ولكنَّهُ أبدى العقوقِ وأضمرا

وأرضى سعيدَ الشوحطيِّ وجِنسَهُ وأغضب من صيدِ القبائلِ معشرا

وقد قال فيهم شاعرٌ ذو فصاحةٍ غدا بسديدِ الرأي والفعلِ أخبرا

ولا تُغضبوا بالعزلِ أكبادَ معشرٍ إذا غضبوا عُلَّ القنا وتكسَّرا[1]

أَيضحَى سليلُ المذبحيِّ مُقدَّمًا وتاجُ بني يام بنَ أصبى مؤخَّرا

إذن سَقيَت همدانُ كأسَ مريرةٍ ولا حُرِمَت كأسًا من الموتِ أحمرا

ألا فاشهدوا أني عذرتُ ابن أيهَمٍ رئيسُ بني غسَّانَ لمَّا تنصَّرا

فقُل لذرى قحطانَ للهِ درُّها وخُصَّ بها همْدانَ قومي ومذكرا

علامَ وفيمَ اليومَ تُغضي على القذى أكانَ لها عذرًا هُناكَ فتُعذرا؟

هو الموتُ أقصى ما يُخافُ ويُتقَّى فما ليَ لا ألقاهُ ندبًا مُشمِّرا

[1] وهذا البيت لجد آل حاتم، القاضي عمران بن الفضل اليامي سالف الذكر.

١٥- عزان بن سعيد بن بشر

هو الأمير الفارس الشاعر عز الدين عزان بن سعيد بن بشر بن حاتم، من كبار همدان وقُوَّادِهِم، ورد ذكره في معرض كلام بعض المؤرخين عندما قام جيش الملك المظفر –وكان يسير تحت رايته الأشراف الحمزات- بدخول صعدة والانصار على من كان فيها من جيش إمامها، وتعيين والٍ للدولة الرسولية عليها، وقد نال الحمزات من خصومهم، وذلك في سنة ٦٥٢هـ[١]، ويبدو أن الفارس الشاعر عزان بن سعيد كان مع قومه في جملة الجيوش.

وفي سنة ٦٥٨هـ كان ابتداء اختلاف السلاطين الحاتميين في حصن ذي مرمر؛ فانقسموا إلى فريقين؛ فريق محالف للمظفر الملك الرسولي، وفريق محالف للأمير الرسولي أسد الدين المتمرد على الملك، وحاصرت جيوش الملك في ذي مرمر حصارًا شديدًا، ثم أصاب أهل الحصن مرض غير معهود، فسلموا الحصن بثمنٍ بخس سنة٦٦٣هـ، وكان الأمير عزان مُقعدًا كبير السن في حصن ذهبان، وأرسل قصيدة إلى أبناء عمومته آل علي بن حاتم وهم في حصن ذي مرمر.[٢]

---

[١] قرة العيون، ص٣٢١و ص٣٢٢. وفي السمط الغالي الثمن، ص٣٠٦-٣٠٧.

[٢] الشعراء من ولد السلطان بشر بن حاتم الهمداني وماتبقى من أشعارهم، د. عبدالرحمن الحذيفي.

شعره:

قال هذه القصيد أثناء خلاف آل حاتم، وأرسلها إلى أبناء عمومته آل علي بن حاتم، وكان في آخر عمره، مسنٌّ مُقعد، يقول فيها: (الطويل)

ألا أبلِغا أبنَا عليَّ بنِ حاتمٍ — مقالًا لهُ شمُّ الشناخيبِ ترجفُ
صناديدُ همدان بنَ زيدٍ وصيدها[1] — ومَنْ مجدُهم بينَ البريَّةِ يُعرَفُ
أولئكَ قومٌ إن قَرَوْا أحسنوا القِرى — وإن أنعموا أعطوا جزيلًا وأنصفوا
وإن يشهدوا صدرَ النديّ فما لهُم — شريكٌ بهِ من سائر الناسِ يُعرَفُ
أولئك إخواني وقومي ومعشري — ومَن بِهِمُ أسموا فِخارًا وأشْرَفُ
فمن سامني شأو الجدودِ فبيننا — إلى الشرف السامي من المجد مرنفُ
وقولَا لهم إني وإن كُنتُ مُقعدًا — فقلبيَ ممَّا نالَهُم يتخَطَّفُ
أيُصبحُ أرذالُ الرعاع بأسرها — تحكَّمُ في أعراضِكُم وتُنَصَّفُ
وتُمسي على البطحا تُريقُ دماءَكم — وتهتكُ أعراضًا تُعزُّ وتَشرُفُ
ألم تعلموا أن الحواملَ عُطِّلت — وريِعَت نساءٌ في المساجدِ تعكُفُ
أبى الله أن ترضى بذلكَ عصبةٌ — حجازيَّةٌ تأبى الدنايا وتأنَفُ
أما راجعٌ منكم إلى فضلِ حلمهِ — أما عاطفٌ منكُم أما مُتَعَطِّفُ
فلا ترخصوا ما كان بالأمسِ غاليا — ولا تُسعدوا من ظل بالشرِّ يرجِفُ
أحذِّرُكُم من عثرة الرأيِ إنَّها — لمِن عثرةِ الأيام أشقى وأتلَفُ
ولا تهدموا ماشادهُ مُلكُ حاتمٍ — قبيانَهُ سامٍ على المجدِ مُشرِفُ
فلا تخذلوا في الرأي أبناء عمِّكم — فما مِنهُمُ إلا ودودٌ ومنصِفُ
يُدافِعُ عن أحسابِكُم ويصونُكُم — ويدرأُ بعدَ اللهِ عنكُم ويكشِفُ
بأن تسمعوا أو تقبَلوا نُصحَ ناصحٍ — يحنُّ عليكم ما حييتُم ويرأفُ
وإلا ففي سعيِ الحسين ورأيِهِ — لكُم بركاتٌ عدُّها لا يكيَّفُ

[1] الأصيد: الملك، والصِّيد: الملوك.

فقد زاركُم في نفعِكُم متشفِّعًا وكلُّ شفيع بالشفاعةِ يُنصَفُ
ولا تعتبوا إن كان في الرأيِ غلطةً فلي كبدٌ حرًّا على العزّ تأسَفُ
وإلا ففي حذَّانَ مُتَّسَعٌ لَكُم وأرضُ التقاصي فهيَ بيضاءُ صفصفُ
أراضي سلامٌ كالرياضِ تنسَّفت وصار عليها صيِّبُ المزنِ يذرفُ

وقال في حرب صعدة -وكان من فرسانها في شبابه- عندما دخلت قوات الدولة إلى صعدة وانتصرت على الإمام في سنة ٦٥٢هـ: (الطويل)

سلامٌ مشُوقٍ ودُّهُ ماتصرَّما يزورُكَ من نجدٍ وإن كُنتَ مُتْهَما
سلامٌ كنشرِ الروضِ باكَرَهُ الحيا فأضحى أنيقًا مُشرقًا مُتَبَسِّما
يخُّصُكَ من قُربٍ وإن كنتَ نائيًا ويُهدي تحياتي فُرادى وتوأما
فيا أيها الملكُ المُظَفَّرُ والذي حَمَى قصَباتِ المُلك أن تتهدَّما
ويا دافع الجُلَّى إذا الخطبُ مبهمٌ وقد جنَّ ليلُ الحادثاتِ وأظلما
ويا مُخجلَ الأنواءِ والبرقُ خُلَّبٌ إذا جادَ برقٌ من نوالٍ وأسجما
ملكتَ فلم تفخر ونلتَ فلم تَطُل وجُدتَ فلم تترك على الأرضِ مُعدما
وصُلتَ فلم تترك عليها مُعاندًا ولو أنَّهُ يرقى إلى الجوِّ سُلَّما
إليكَ أبا المنصورِ أهديتُ أحرفًا أبثُّك أخبارًا وإن كنتَ أعلما
وأُثني بما أوليتني من صنائع وأستنجدُ أخبارًا كي أشفي الظما
واستنهضُ العزمَ السعيد وطالما حللتُ بهِ عقدًا من الهمِّ مبهما
لأنقمَ ثأرًا أو لأكبتَ حاسدًا وأقضي لبانات النفوس وأنعما
فشمِّر لشيدِ المجد إذ أنتَ أهلهُ وتمِّم على اسمِ اللهِ تدعُ متمِّما
فلم يبق في الأقوامِ إلا حثالةٌ تهبُّ بها ريح الصبا إن تنسَّما
نهضنا بجيشٍ منكَ يطمي عبابهُ يضيقُ بهِ رحب الفضا حيثُ يمَّما
يجوبُ بقاعَ الأرض شرقًا ومغربًا ويطوي رُباها مَحرمًا ثم مُحرما

ويغشى لظى الحربِ العوانِ كأنها   طنينُ ذبابٍ عندهُ إن ترنما
نزلنا بوادي الجوف نرعى خميلهُ   ونذكُر عهدًا كان فيه تقدَّما
فلما قضينا عندهُ كلَّ حاجةٍ   وجُبنا المراسي وهوَ كانَ مُحرَّما
صعدنَ بنا أعمال صعدةَ سُنَّحًا   تبارى كأمثالِ السراحينِ سُهَّما
ولاحت على الأقطارِ أعلامُ يوسفٍ   كأن شعاعَ الشمسِ منها تبسَّما
وصاحت طيورُ السعد في كلِّ وجهةٍ   تُبادرُ بالترحاب إذ كُنَّ وُجَّما
فلا مَالِكٌ إلا وأرخى قيادهُ   ولا قائمٌ إلا تولَّى وأحجما
ولا حيَّ إلا استيقظوا بعد هجعةٍ   وكانوا سُكارى قبل ذاكَ ونوَّما
ولله درُّ الأريحيِّ محمدٍ   شقيقُكَ محمودُ الثنا مانعُ الحمى
فوالله ما جشَّمتُهُ لمُلِمَّةٍ   على مثل حد السيفِ إلا تجشَّما
ولا قُلتُ مهلًا يا خليلي وقد بدا   له الشرُّ، إلا كفَّ ثُمَّ تبسَّما
فيا ابن ملوك الغُرِّ من آل جفنةٍ   غدا مجدُهُم فوق السماكِ مُخيِّما
لأنتَ صفيُّ الودِّ إذ أنتَ أهلهُ   ولا أرتضي إلَّاكَ رُكنًا ومغنما
فلا يقطعن بيني وبينكَ قاطعٌ   إلى أن نزور جنَّةَ الخُلدِ فاعلما
حلفتُ بربِّ الناسِ حلفةَ صادقٍ   مؤكدةً لم أخش في ذاكَ مأثما
وبالمصطفى جدِّي وبالمرتضى أبي   ومن طاف بالبيتِ العتيقِ وأحرما[١]
لو أني رأيتُ الدينَ للهِ خالصًا   وأُعطيتُ مُلكًا يملأُ الأرضَ والسما
لما سَمَحَت نفسي بدينِ محمدٍ   ولو لم أذُق من باردِ الماء مطعما
ولمَّا رأيتُ الحقَّ مُلقَىً زمامهُ   وليسَ سوى الدنيا مُرادًا ومغنما
تنكَّبتُ عن تلك السبيلِ ولم أعُج   عليها ولا في رفضها مُتندَّما
وعُدتُ لشيدِ المجدِ أرعى سوامَهُ   ولم أدَّكِر نجدًا ولا أبرق الحمى
ويمَّمَتُ محمودَ الطرائقِ يوسفًا   فـ للهِ ملكًا ما أعزَّ وأكرما
لقد فخرت غسَّان منهُ بماجدٍ   حماها وأعلاها سِماكًا ومرزما

---

١ قال الشاعر هذا على لسان شمس الدين أحمد بن عبدالله بن حمزة.

مُجيبًا إلى داعي التكرُّمِ والندى وإن هو لم يُدعَ ابتداءً تكرَّما
فدامَ قريرَ العين في خفض عيشةٍ ولا زال مأوى للوفودِ ومُنتمى

١٦ - سالم بن عزّان بن سعيد بن بشر

وهو ابن الشاعر الأمير عزان بن سعيد، ولم تذكر المصادر أي ترجمة له عدا ذكر قصيدته في آل حاتم بعد خروج الحاتميين من حصن ذي مرمر الشامخ، فجعل قصيدته جوابًا على قصيدة والده السابقة وإكمالًا لها.

شعره:

لم تدوَّن للشاعر غير هذه القصيدة كما ذكرنا، ويقول فيها (الطويل)

وذلكَ أن الدهرَ أحدثَ بينهم حوادثُ عُقباها تبيدُ وتتلفُ

وأصبحت الغوغا الرعاعُ من الورى تحكَّمُ في آرائهم وتُصرَّفُ

وكانت خلوبٌ بعد ذلكَ غبَّةً وصدرٌ لعمرُ اللهِ لا يتألَّفُ

لعمري لقد شدَّوا هنالكَ شدَّةً تكادُ لها شمُّ الشناخيبِ ترجفُ

فلوا صدموا رضوى بهِ لتدكدكت ذُراهُ وفرسان الوغى لتزحَّفوا

وذاكَ لأمرٍ قدَّرَ اللهُ كونَهُ وليس لما قد قدَّرَ اللهُ مَصرِفُ

إذا ما قضى اللهُ الزوالَ فليسَ عن قضاهُ قضاءٌ في الورى يتخطَّفُ

وعزَّ علينا أن يُفرِّقَ شملهم حسودٌ وكذَّابٌ شقيٌّ مزخرَفُ

سعى بينهُم بالكذب والزورِ معشرٌ لهُم قدمٌ في الشرِّ والبغض تُعرَفُ

جهارًا بما قد كان منهم وخفيةً ومنُّوا أمانيَّ الضلالِ وقد وَفَوا

إلى أن جرت أولى وأُخرى كلاهما ضلالٌ ولم يحنو لذاكَ ويرأفوا

وما هي إلا سخطةُ الله مارمى بها الله إلا من يسيء ويُسرفُ

فأعقَبَ ذاك المجدَ والعزَّ ذِلَّةً أُزيلَ بها الطود الأشمُّ المنيَّفُ

فبدَّدَ شملًا ما أراهُ ولا يرى على حالةٍ من بعدها يتألفُ

فأعقبني حُزنًا طويلًا ولوْعةً   بقلبي منهُ حُرقَةٌ وتأسُّفُ
نحنُّ وما يجدي الحنين ولو بدت   مدامعنا مثل السحائب تذرفُ
ولو قبلوا رأي الحسينِ ورأيه ورُشدَهُ   هنالك لم يرجُف بما كان يُرجِفُ
إذن لهداهُم للصلاح وللهدى   وأعلنَ فيهُم بالَّتي هيَ أعرفُ
وما زال من إخوانهم زاجرٌ لهُم   وهم من أولي الشحناء أحنى وأرأفُ
ولكنَّهم أُلْفُوا كما لمْ طديتهم[1]   وكان من التأنيبِ ماليسَ يوصَفُ
يقولونَ لا يقبل فلانٌ ورأيهُ   ومازال يجنيهم ودادًا وينصفُ
فصبرًا فأمرُ اللهِ لا بدَّ نافذٌ   عساهُ بجاهات المراحمِ يعطفُ
فـ لله رب الخلق من عطفاتهِ   عواطفُ لا تُحصى ولا تتكيَّفُ

[1] طدَيْ: عادة ، طديتهم: عادتهم

١٧-سليمان بن الفضل اليامي

وهو القاضي الصدر الكبير أبو الربيع سليمان بن الفضل اليامي[١]، لم أقف على تسلسل نَسَبيٍّ له، وأرجِّح أن يكونَ القاضي من آل عمران بن الفضل؛ حيث أنه غالبًا ما يُقرن لقب القاضي بأعلام آل عمران، كما أن اسمه واسم أبيه وكنيته واسم ابنه تكررت لدى آل عمران بكثرة.

سليمان بن الفضل القاضي، أحد الأئمة المشهورين، والعلماء المذكورين.

ولي القضاء الأكبر في اليمن من صنعاء إلى عدن[٢]، قال الجندي:(عده عمارة في كتابة، وأثنى عليه وقال: قال عبدالله بن محمد القاضي: سليمان بن الفضل شيخ اللغة، وصدر الشريعة، وجمال الخطباء، وتاج الأدباء، قال: وظني –والله أعلم- أنه ولي القضاء بعد أبي بكر، قال عمارة ولي الحكم في عدن).[٣] ليست له ترجمة أفصل من هذه ولم أقف على تاريخ وفاته ولكن ذكره صاحب القلادة ضمن الأعلام من سنة ٥٤١ إلى سنة ٥٦٠هـ، أي أنه كان حيًّا في هذه الفترة، عاصر السلطان حاتم بن أحمد اليامي وكاتبه ونظم فيه الشعر، ومدح أيضا الملك محمد بن سبأ الزريعي.

شعره:

قال القاضي في الملك محمد بن سبأ الزريعي (الطويل)

---

[١] ورد ذكره لدى عمارة اليمني، تاريخ اليمن المسمى المفيد(النسخة الموسعة). المعجم المفصل في اللغويين العرب،إميل بديع يعقوب، ص٢٣٧/ج١.
[٢] قلادة النحر(١٧٧).
[٣] السلوك(١/٤٦٥)

صفاتك تملينا مدائحك الحسنى فمن عِندنا لفظٌ ومن عندها معنى
تملّ علينا فيك كل غريبةٍ فمنها لك المدح المنقح لا منّا
فلولا مساعيك الكريمة أيقظت قرائحنا للشعر مابرحت وسنا
ولو كان ممدوحٌ سواكَ لأجلت خواطرنا حتى يظنوننا لُكنا
ولكن إذا ما استغرق القول حمدنا لسعيكَ في فنٍّ أتيتَ لنا فنَّا
ولو كان يستغني بمحمودٍ سعيهُ عن الحمدِ خلقٌ كنت ذاك الذي استغنى
ولكن أحب الله في الخلق شكره وما نحنُ إلا نقتدي بالذي سنّا
وما يدعي إدراك قدرك مادحٌ ولكن لقدر الوسع يُستخدم الذهنا
فإن نحنُ قصّرنا وراء اجتهادنا بمدحك فاصفح واعف مغتفرًا عنا
ولما غدا في الأرض ذكرك طيبًا ولم يبق سهلًا في البلاد ولا حزنا
تشوَّفت الدنيا إليكَ وأهلها فكلٌّ إلى لقياك من طربٍ حنَّا
يودُّ الذي تروى صفاتُكَ عندهُ لو أن له في كل جارحةٍ أذنا
فيسمع ذكرًا طيبًا ما استعادهُ فكرّر إلا ازداد سمعهِ حُسنا
ألذ من الوصل الخفيّ لعاشقٍ وأحلى من الشهد المشار إذا يُجنى
تمرُّ بمهمومٍ فتُجلي همومهُ وتقرعُ محزونا فتسلبهُ الحزنا
بنيتَ من العلياءِ والمجدِ ما بنى أبوك وبالآباء فليقتدِ الأبنا
فإن تتبع آثاره فلقد بَنَى من الشرف الوضاح أكمل ما يُبْنَى
وإن زدت فالأغصان تبدى ثمارها تبورك أَصْلاً كنت أنت له غصنا
إذا عُدَّت الأملاك كنت أجَلَّهم فخاراً وفي الأحلام أرجحهم وَزْنَا
وأمجدهم جداً وأنجبهم أباً وأجزلهم نَيْلاً وأرحبهم مغنى
حويت خصالاً للفخار ثمانياً وغيرك منه حسبه إن حوى الثمنا
حياءٌ وفاءٌ جودُ كَفٍّ بَسالةٍ عفافٌ ذكاءٌ نخوةٌ شرفٌ أسنى
وجانبت يا تاج الملوك ثمانياً فأصبحت أنقى الناس من دمها رِدْنا

ركوب الهوى والعار والحِقْد والجَفَا وفِعْل الخَنَا والكِبْرَ والبُخْل والجُبْنَا

أرى الناس يستثنون إن فضلوا امرئٍ سواك فإن هم فضلوك فلا استثنا

وما ذاك إلا أن فيك خلائقاً نصدق من أثنى عليك بما أثنى

ولا غرو أن فُقت الرجال فضائلاً فقد فاق يا داعي الهدى جَدَّك المزنا

شهدت لقد عم البرية كلها نداك فكم أغني أناساً وكم أقنى

بذلت لكسب الحمد كسبك كله فأبقيته ذِكْراً ولم تبقه خَزْنَا

فخلنا بأن المال عانٍ فَكَكْتُه وأن بيوت المال كانت له سِجْنَا

ولما رأينا المال عاثَ به النَّدى حِسَبْنَاه لما أن فَتَكْتَ به قرنا

وَهَبْتَ فلم تَسْتَكْثِرِ الألف وافيًا وَزِدْتَ وما اتبعت منتك المَنَّا

فلو تملك الدنيا معًا ووهبتها لعافيك لم تقرع من الندم السنا

وزادك فضلاً أن جعلت لنفسك الـ موفق صهراً وارتضيت به خِدْنا

وأعددته سيفاً لكلّ ملمَّةٍ تصول به يوم الوغى يدك اليمنى

وفَوَّضْتَهُ في المُلك فهو يسوسه ويُصدق في أعدائه الضرب والطَّعْنَا

وحكمت بالأضداد حد حسامه فكم دمر الأضداد فتكاً وكم أفنى

فبدَّل عزّ المستطيلين ذلّةً وكثرتهم قِلاً وقوَّتُهم وَهُنَا

وما شَدَّ أزر المُلكِ إلا قيامه ومذ كان من دون الحصون له حصنا

فأوسعهم عدلاً ولطفاً ورحمةً وبدلهم من بَعْدِ خوفِهِمُ أمنا

فلو أن كل الخلقِ كانوا مكانهُ وعيشك لم يغنوا الغناء الذي أغنى

فلا زال قَوَّاماً بملكِكَ ناهضاً ولا زِلْتَ يا داعي الإمام له ركنا

وهنئتما العيد السعيد قدومه ولقيتما فيه السعادة واليُمنا

وله في السلطان الأجل حاتم بن أحمد اليامي: (الكامل)

هلّا ضجرتَ كما صَنَعتَ بِلوَّمي وعصيتَ فيَّ كما عَصَيتَ مُحَلِّمي

ما ذاك إلا أن أقدار الهَوَى حكمت علي بأن أهون وتَكرَمِ

قالوا تَسَلَّ ترح فؤادك إنَّهُ أبدى الأسى عنك اصفرار الكُركُمِ

قد ذُبت حتى لو يمرُّ توقُّعُ الـ عربانِ ركضاً منكَ لم تترمرمِ

لولا خيالُكَ في ثيابك لم تكد لتنالك الزرقاءُ غير توهُّمِ

فأجبتهم كفوًا فعذلكمُ بِسَمـ عِي اليوم كالتوحيد في رحَدَي فمي

عني هلا لا صبرَ هل هو غيرُ أن تبكوا علي وأن تقيموا مأتمي

أوما تروا سَلَكَ ابن أحمد حاتمٍ في الجو يعصي فيَّ لومَ اللوَّمِ

يضري ويستشري ويعرف كلّما عَذَلوه في يومي نوالٍ أو دمِ

يوماه يومٌ للعدى متورِّدٌ بِدَمٍ ويومٌ للفقير المُعدمِ

وله أيضًا في مدح محمد بن سبأ الزريعي: (الطويل)

سلاها أزارت طرفها هجعةً بعدي وذاقت كرى أم عندها مثلما عندي

وهل رقأت منها المدامع أو هَدَتْ فأعلم أم دامت سجاماً كما عَهْدِي

كان دموع العين يوم وداعنا هي اليوم ألقته الجفون على خدي

تولَّى سلوِّب يوم وَلَيت عَنْهُمُ وفارقني نومي ورافقني وجدي

فَلِلَّهِ بَرْقٌ بات طرفي يَشِيمه يلوح على نَجْدِ ويخبو على نَجْدِ

لقد جنا الداء الدفين جُنُوَّهُ بقلبي ولظَّت جمرةُ النار في كبدي

وجَدَّد لي شجواً وذكرى أحبَّةً على بعدهم والوجد يزداد للبعدِ

فتباً لِدَهْرٍ شَتَّتَ الشَّمل صِرْفه وأعقبنا بالحط للرحل والشدِ

وبدّلنا بؤساً بِنُعمى وشدةً بخيرٍ ولكن تذكر الله بِالحَمْدِ

حرامٌ على قلبي السلوَّ وطعمهُ بُعَيْدَ فراقي للفطيم وذي المهدِ

بَلَ عند تعفيري بسوح محمَّدِ الـ مكينِ ظهير الدين مولى الورى خدّي

متوَّجُ دين الله أعني إمامهُ الأمينُ على سرِّ الخلافة والعَهْدِ
فحينئذٍ أسلو ويرتاحُ خاطري وأعلم أن الله قد منَّ بالسعدِ
ويصفو ليَ العيشُ الذي قد تكدرت مشاربهُ فالحمد للواحدِ الفردِ
فأقسمُ يا تاج الملوك وفخرها ومن فاز بالقدح المعلَّى من المجدِ
وأدرك شأو الفخرِ قبل احتلامهِ وحاز المعالي واحتوى ذروةَ المجدِ
لَقَلَّدْتَ أعناق الأنام صنائعاً يُقصِّرُ عنها منطقُ الحر والعبد
وأحْيَيْتَ دين الله من بعد موته وأنشرته من بعدما غاب في اللَّحْدِ
ولولاك يا داعي الإمام تولَّجت علينا وصارت أرضنا قبضة الضدِّ
وما كان للإيمان لولاك ناصرٌ ولا عاضد كلا ولا وزرٌ يُجدي
فلله أفعال المتوّج إنها تجل عن الإحصاء والحصْرِ والعدِ
ولله سعيي إن سعيي لمنجحٌ ولله قَدْحِي إنه فاز بالحدِّ
كما عايَنَت وجهُ المتوَّج مقلتي فَحَسْبي بهذا أنه غاية القَصْدِ
فيا راكبَ البحر الخضمِّ لتبتغي غناً في أقاصي الصين والهند والسِّنْدِ
أجل إنَّ يُمنى ذي المعالي محمدٍ هي البحر يغني سيبها طالب الرِّفْدِ
وذاك أجاجٌ تركب الهول أهلهُ وهذا سليمٌ وهو أحلى من الشهدِ
لقد حملت فيه الممالكُ واكتستْ بهاءً وجَلَّت عن مماثلة الضدِّ
بتدبير ذي الرأي الموفّق رأيهُ السعيدُ معيد البذل في الناس والمبدي
حسامُ ظهير الدين مفني عداتهُ وذو صولةٍ تعنو لها صولة الأُسدِ
فلا زِلْتُمَا للدين كَهْفاً وملجأً ودوما دوامُ الجزرِ للبَحْرِ والمَدِّ

وقال أيضًا يمدح محمد بن سبأ الزريعي: (الطويل)

أبانَ دمعكَ يوم البينِ إذْ بانا ظعنُ الأحبَّةِ أظعانًا وأظعانا

فلا ملامَ على عينيكَ إذ ذَرَفَا ... ولا عليكَ إذا برَّحتَ حَيْرانا

فبُح بسرّ الهوى إذ لستُ كاتمُه ... فالآن قد صارَ ذاكَ السرُّ إعلانا

وكيفَ يخفى الهوى من بعدِ ماعُرِفَت ... لهُ دلائِلُ قد أوضحنَ برهانا

أم كيفَ يقدِرُ من بعدِ الذينَ جَفَوْا ... أحبابُ قلبكَ يامحزونُ سلوانا

إنَّ الظباءَ التي في طرفها حورٌ ... تركنَ في قلبكَ المشغوفِ أحزانا

وشادنٌ كنتُ أهواهُ وآلَفُهُ ... كغضن بانٍ كحيلِ الطَّرفِ فتَّانا

نأَت بهِ الدارُ عنّي فاغتدى كَمَدي ... مؤجِّجًا داخِلَ الأحشاءِ نيرانا

وقائلٌ دع وصفَ الغرامِ وخُذ ... في مدح داعي إمامَ الدين مولانا

سليلُ داعي أمير المؤمنين لهُ ... مكارمُ الجودِ تولي الوفدَ إحسانا

المضرحيُّ الهُمامُ النَّدْبُ من فَخَرت ... بهُ قبائِلُ من يامِ وقحطانا

ولُذ بهِ من صروفِ الدهر إنَّ لهُ ... كفًّا تفيضُ على العافينَ عِقيانا

تلقى الأماني لديهِ غيرَ كاذبةٍ ... وحِسنُ ظنِّكَ لا تلقاهُ خوَّانا

اللَّوذَعيُّ الذي سارت فضائلُهُ ... يحدو بها السَّفرُ مُشَّاءً ورُكبانا

مِن راحتيْهِ كصوبِ المُزنِ ... وفيضُ كفيّهِ بعدَ اللهِ أحيانا

مهذَّبٌ نسلُ أقوامِ ذوي كَرَمِ ... شادوا العُلا وبنوا للمجدِ أركانا

يا أيُّها الملكُ الداعي الجواد ومن ... عليهِ أمَّلتُ بعد اللهِ تكلانا

إنّي امرؤٌ قد أناخَ الدهرُ كلكلهُ ... عليَّ كم صيَّر الأحرارُ عبدانا

وقد أتيتكَ أسعى طالبًا ظَفَرًا ... على الزمانِ فكُن للعبدِ معوانا

وجُد سريعًا بما أرجوهُ يا أمَلَي ... كيما أعودَ قرير العينِ جذلانا

واسلم ودُم في نعيمٍ دائمًا أبدًا ... يعلو عُلاك رعاكَ اللهُ كيوانا

وله أيضًا:

شاب بالهجر ماصفا ... واعتمَّدَ قلَّة الوفا

وتجنَّى تَحَرَّشا إذ ... رأى الصبَّ مُدنِفا

شادنٌ قد هوَيْتُهُ ساحرُ الطرفِ أَهْيَفَا
يتثنَّى كأنَّهُ غصنُ بانِ تعطَّفا
أحورٌ تاهَ إذ حكى حُسنُهُ حُسنُ يوسُفا
ليسَ للمُدنِفِ العميدِ عَلِمناهُ منصفا
لا ولا عندهُ سوى كثرة الصد والجفا
ماعليهِ لو أنَّهُ جادَ بالوصلِ مُسعفا
وسقاني بريقِهِ الشهد من فَيهِ قرقفا
ودنا بعدَ بُعدِهِ وعن الجُرمِ لو عفا

وله أيضًا في الملك سبأ ومنصور بن المفضل من آل زريع (البسيط)

أَصبَحتُ لا أرهَبُ الأيَّامَ والنُّوَبَا لأنَّني جارُ منصورِ وجارُ سبا
فإن سَطَوْتُ على الأيَّامِ مُقتَدِرًا أو ارتقيتُ إلى الشّعرى فلا عَجَبا
فقُل لمن رامَ كَيْدي أو مُعانَدَتي أقصِر ففي تَعَبِ من عانَدَ الشُّهُبَا

كانت هذه بعض أشعاره ولم نذكر جميع أشعاره لتكرار مناسباتها، فجلها كانت في مدح السلاطين من بني زريع.[١]

[١] بقية أشعاره مدونة في كتاب المفيد لعمارة اليمني النسخة الموسعة.

١٨- حاتم بن سليمان بن الفضل

وهو ولد القاضي سليمان بن الفضل، وكان جيد الشعر حسن البديهة عارفًا بالنحو والعروض، فمن شعره مدحه للسلطان الحسن بن محمد الحميدي، فيقول: (الخفيف)

ما بين أجزاع اللوى وعقيقِها ... دِمَنٌ[1] يحارُ الفكرُ عن تَحْقِيقِها

دمن فرقتُ العيش بل فارقتهُ ... لما تحمَّل أهلها بفريقها

ساقوا مُطيَّهُمُ فَسُقْتُ حشاشتي ... معهم على أحقابها ووسوقِها

عجباً لسلطان الفراق ونفثه ... ألقى بها في القلب غير مليقها

يا صَاحِبَيَّ قفا ظهور ابليكما ... توقيفُها في الرَّبع من توفيقِها

ضُمَّا إلى الوحد الذميل وأعملا ... خَبَباً يؤثِّر أينهُ في سوقها

حتى إذا قابلتما من ريمةٍ ... مَلِكاً يجلِّي للعلا وطريقها

فاستعملا التكبير حين خطيبها ... يُزكِّ أملاكَ الورى وفريقها

وأجَلَّها الحسنُ الرضا بن محمدٍ ... سبَّاقها في المجد لا مسبوقها

مأنوس عقوة جوده مألوفها ... موثوق عزَّةِ ملكهِ مرموقها

هو أمها قَوَّامها هجّادها ... سجّادها فاروقها صدِّيقِها

وقال في مدح عبدالله بن علي المزني: (الخفيف)

الآنَ أشرَقَ للعيانِ نهارُ ... وأضاءَ للمُسترشدينَ منارُ

وأضاءَ فجرٌ كانَ غابَ ضياؤهُ ... ثمَّ انجلى وانجابَ عنهُ غُبارُ

وَضُحَت لنا سُبُل الهُدى فلطالما ... انطمسَت فلم ترَ إرثها الأبصارُ

[1] الدِّمنة: الطلل؛ ماتبقى من آثار الناس والديار.

وإذا استبانَ طريقِ عذلٍ واضحٍ فالعدلُ عنهِ في الحقيقيةِ عارُ
شرفًا لقحطان الكرامَ فإنَّهُ شرفٌ يِقَهقِرُ عن نداهِ نزارُ
متعثّرينَ إذا سَعَوا في طرقهِ فكأنما يطأون فيَّ جسارِ
سَبَقَتْهُمُ قحطانُ في أملاكها وتخلَّفوا مستحدثين وحاروا
لمن التبابِعةُ الألى دانت لها وتزلزلت من خوفها الأقطارُ
أم من أطاعَ الوحشَ من أدواتها والجنّ إذ نَطَقت به الأخبارُ
أم من جَبَا أملاكَ فارسَ بعدما فاضت نفوسٌ ضارهنَّ أسار
أم من لهُ غَمْدَانَ شِيْدَ بمرمرٍ أمَّن أزالَ محلَّهُ وظِفارُ
أمّن أزالَ الحُبشَ عن يمنٍ وقد كانت عليها ذُلَّةٌ وصِغارُ
أم من ذوو التيجانِ من أملاكِها وقيولها أم من لهُ إنكارُ
أجَعَلتُمُ طيبَ الخِلالِ وأهلها وزمار راعيةٍ لها أوتارُ
كملوكَ ذي جَدَنٍ وذي يزنٍ وذي قارٍ ويحصبَ إن ذا لغبارُ
وإذا فخرتُم بالنبيِّ ورهطهِ طَرَدتكُمُ عن فخرِهِ الأنصارُ
هذا وكم لقضاعةٍ من مفخرٍ يعنو لها المتقاعسُ الجبَّارُ
أقضاعةً بن مالكٍ لا ناديًا لكَ عندَ (أصحاب)[1]الخطوبِ يشارُ
إيَّاكَ أن تُبقي لعكٍّ ذاكرًا إنَّ السيوفَ إليهُمُ لجِرارُ
اليومَ ثُلَّتُكُم فسوقوا شاءَكُم للغيرِ لا يُسمع لهنُّ يُعارُ
فلكُم إذا نُسِبَت مكارِمُ يعربٍ نسبٌ إلى المجدِ القديمِ مُعارُ

[1] في الأصل بياض.

فعلامَ تسبِقكُم زعيلُ وأنتُمُ مأوى النبيِّ وأنتمُ الأنصارُ
ومن العجائبِ أن تسودَ عصابةٌ آباؤها إن فاخَرَتكَ قِصارُ
لا تُنكِروا هذا المُلِمَّ فإنّما يعلو على الجمرِ الكثيفِ شرارُ
فإذا علا أو كانَ منهُ تصاعدٌ في الجوِّ إذ هبَّت بهِ الأعصارُ
عَمَّا قليل يَنْجَلِي ظلماؤها عن صُبحها وتضيئها أنوارُ
وترى سبا يُحيِي المكارم حَدّه سَبَأ الأُلى إن ساعدت أقدارُ
يا للرجالِ للوعةٍ ما تنقضي زَفَراتُها من دونهنَ النارُ
ما لي أقلِّبُ طرفَ حيرانٍ وقد أضحى الفؤاد وَحَشْوَهُ أفكارُ
أمسى الحصيبُ تُذلُّ فيه أعزّة وتُدين أعبُدُها به الأحرارُ
رامت له الذُّل الأنوفَ وطالمَا شَمَخت وكيف يقِرُّ بعدُ قَرَارُ
وتوقر الطرفُ الجموحُ وطالما لم تَدنُ منهُ هيبةٌ ووقارُ
يا للأسيح ويا لكندة عصبةً الأمر لا كشفٌ ولا إغمارُ
قومٌ بهم شرفُ ابن مروان وقد نزلت به من غيِّهم آصارُ
فسبيُّهم بين الحياصر في الوغى وبمثلهم فلتنقم الأوتارُ
وكفى بعبد الله طوداً شامخاً طوداً يجير وما عليه يجارُ
يقظٌ إذا ألقى لأمرٍ عَزمَهُ أمسى ومن أعوانه الأقدارُ
ما إن تأمل فعله ذو فطنةٍ إلا وكادَ لما يراهُ يحارُ
ومحلّم لو أن بعض وقاره في يذبلٍ لم يبقَ منهُ وقارُ
أضحى بِشَيْبَةٍ المنيعةُ حصنها فلكٌ عليه من السعودِ مدارُ

بَهَرَت محاسنهُ العقولِ وقهقرت عن وصف عشر عشيرها الأنصارُ
نبراس مرّانِ وتاجُ قضاعةٍ في المَجْدِ لا كشف ولا إغمارُ

وله أيضًا:

يا يوسفاً في الجمال يا قمراً في الحسن يا درَّةً على سلكِ
كأنك اليوم في الكتيبةِ بدرُ التم حَفَتْهُ أنجمُ الحُبُكِ
والروض في وجنتيك مختلف ما بين نثرِ وبين مشتبك
سقام جفنيك هاج لي سقماً فداوني من معرة الوعك
يا بدر تمّ من فوق غُصن قنا أقبل يَهْتَزُّ مشية الرَّتَكِ
أما تراني في بحر حبك غـ ـواصًا كأنَّني نوعٌ من السمكِ
أقولُ لمَّا رأيتُ غرَّتهُ وإنني فيهِ جدُّ مرتبكِ
يا ظبي في معرض الفلاة رنا متى أرى مقلتيك في شَرَكي
حسبُكَ منصورٌ أخي روح فتى مضنى خليعَ العذارِ مُنتَهَكِ

١٩-أحمد بن سالم بن ظفر اليامي الهمداني

وكان من شعراء اليمن المجيدين، ولا توجد ترجمة لحياته وأخباره، ولم يبقَ من أشعاره الكثيرة سوى بضعة قصائد في الملك محمد بن سبأ الزريعي اليامي.

شعره:

قال ممتدحا الملك محمد بن سبأ الزريعي:[١] (الطويل)

زمانك أحيا ميتاتِ الخواطرِ ... وعَصرُكَ أبدى دائراتُ الدوائرِ

شأوتَ الكرامَ السابقينَ إلى العلا ... فأصبحتَ فيهم أولًا غير آخرِ

فلا عز إلا ما بنيتَ ولا عطا ... سوى فضلك المُزري بفيضِ الزواخرِ

ولا عدل إلا ماحكمت ولا وفا ... ولا عفو إذ يُعفى سوى عفو قادرِ

فحمدُكَ موقوفٌ عليكَ كما بدا ... وذكرُكَ سيَّارٌ لدى كلُّ سائرِ

ومن علقت كفَّاهُ في آل أحمد ... جديرٌ بظفرانٍ على كلّ ظافرِ

لكونك سيفًا للإمامِ وحافظًا ... مبينًا لما استرعى لهُ غير غادرِ

وقورٌ مسيبُ الرأي أروعُ صادعُ ... بمفروض شرعٍ في خفيِّ وظاهرِ

بكَ اليمنُ الميمونُ زادَ بهاؤهُ ... وعاد كما حصَّنتهُ بالبواترِ

فللهِ سرُّ في ملاك محمدٍ ... سليلُ سبا الداعي عظيمُ المفاخرِ

أدرتَ رحى الهيجاءِ حتى تأججت ... فصغَّرت بالإقدامِ كلَّ مكابرِ

وقمتَ ولولا الحِلمُ منكَ لَقُطِّعَت ... رقابُ بني الجنبِ الغُواةُ الغوادرِ

وإن دارت الحربُ العوانُ أدرتها ... على كل من عاداك دون الدوائرِ

[١] جنب: أحد قبائل مذحج، ومن فروع قبيلة قحطان الحالية، ومنهم قبائل عبيدة وشريف وبني بشر.

فلو قلتَ موتوا لم تجد غير جثةٍ بقاعٍ وصاروا عبرةً للنواظر
أدرتَ على أصحاب سامع دورةً بقيعيَّةً أضحوا لها بالمقابرِ
وكم كان فيها من شقيٍّ مباينٍ عدوٍّ لمولانا وضدٍّ مكابرُ
فطحطحتهم بالسمهرية والقنا وجلّلتهم صافي الحديدةِ باترِ
وعُدتَ إلى أبناءَ حامٍ مبدِّلًا كعودةِ جبَّارٍ على الأخذِ قادرِ
إلى الأبلق الفرد الذس ليسَ مثلهُ يُرى ناظر من شامخاتٍ زواهرِ
فأنزلت منها آل حزمٍ وحزبهُم وأشياعهم بالذلِّ نزلةَ ضامرِ
وكانوا يظنوا أنهم يمنعونها وتحميهمُ عن نائبات المقادرِ
فولَّوا سِراعًا هاربينَ وخلَّفوا نفائسُ ماقد جمَّعوا من ذخائرِ
فلما استعدَّ الجيشَ جاشت نفوسهم وولَّوا ولم يقووا على صبر صابرِ
وأُبت وقد أغنمت جيشكَ وفرهُم وخلَّفتهم صرعى بسُمرٍ شواجرِ
إذا ما بدا في الدست نورُ محمدٍ سليلُ سبا اليامي كريمُ العشائرِ
أضاءت بلاد الله من نورِ سعدهِ ودانت لهُ غُلبُ الملوكِ الجبابرِ
وإن قرعَ الضيفُ استهلَّت بروقهُ وسحَّت سحابُ الواكفاتِ المواطرِ
فها أنتَ ركنٌ للأنامِ وقبلةً فهم بينَ ورَّادٍ إليكَ وصادرِ
فهُنِّئتَ ما وُلِّيتَهُ يا محمدٍ من العزِّ والنعمَا وحوزُ المفاخرِ
ومُلِّيتَ يا نبراسَ يامٍ وشيخَها بلوغُكَ ما أمَّلتَهُ أخذُ قاهرِ

وله أيضًا في الملك محمد بن سبأ الزريعي: (الرجز)

من شاكرٌ عني فتى همدانِ؟ تاجُ الملوكِ وخيرُ كلِّ يماني
الأروعُ الملكُ الذي خرَّت لهُ غُلبُ الملوكِ نواكسُ الأذقانِ
فبنى لهمدان العريضةِ مفخرًا أرست قواعدهُ على كيوانِ
ونوالهُ غمَّ البريةَ كلها من آل قحطانٍ ومن عدنانِ

وإذا الحروب تأججت نيرانها   فهو المنيرُ لها بغيرِ توانِ

فهناكَ يلقى القرنُ فيرَ مقهقرٍ   ويعلُّ فيهم صدر كل سنانِ

ويبيدُ جمعَهُمُ ويحوي جُلَّهم   ويبيحُ فيهِم صامت العِقيانِ

ما زلتَ مذ لاث الإزارُ مولِّعًا   بعوارفٍ تسدى لفكِّ العاني

تاهت بهِ شمُّ المعاقل والظُّبا   والسُّمرُ من عدنٍ إلى هطلانِ

ناراهُ موقدتانِ، نارٌ للوغى   تُذكى ونارٌ في قِرى الضيفانِ

الواهب الجرداء[1] والخضراء[2] والـ   غيداءَ[3] والكوما[4] وكلُّ حصانِ

ولهُ الحمى ولهُ الوفاءُ سجيَّةً   يحمي حمى العلياءِ والجيرانِ

فثناؤه كالمسكِ ينعمُ طيبهُ   في ألسن السمار والركبانِ

وترى فناؤه كالمحصّب من منى   للوافدين وللضيوف مغاني

متهلِّلٌ للوفدِ مُشرق وجههُ   فيرون منه أحسنه الألوانِ

متيقِّنٌ لبقا الثناء وكلَّ ما   فوق البسيطةِ من متاعٍ فانِ

يا من تقيَّل في المكارمِ مَذكرًا   وذؤابة الأعلام من كهلانِ

فبنى لقحطانَ بن هودٍ مفخرًا   فخرت بهِ الصبيانُ من قحطانِ

لا تنسني فأنا المقرُّ بفضلكم   يا من يداه عن الورى أغناني

وبحبله أعلقت كفي معصمًا   فيه الزمان من الزمان أماني

فلأشكرنك دائما بين الورى   حتى أوارى مودع الأكفانِ

وتهنَّ مُلكًا ماترنَّم مُنشِدٌ   من شاكرٌ عني فتى همدانِ

وقال أيضًا في الملك محمد بن سبأ الزريعي: (الكامل)

يا عاذلي في حبها كن عاذري   و دع الملامَ فإنَّ لومك ضائري

---

[1] الجرداء: الفرس المنسوكة، يقول لبيد يرثي قيس بن جزء في قتلى هوازن: أتته المنايا فوق جرداء شطبةٍ   تدفُ دفيف الطائر المتمطر

[2] الخَضْرَاء: الكتيبة العظيمة

[3] الغيداء: الفرس

[4] الكوماء: الناقة الضخمة

في القلب مني لوعةٌ لا تنقضي تزدادُ وجدًا عند زجر الزاجرِ
ولقد بليتُ بحبِّ ريمٍ أغيدٍ في الحيِّ خرعبةً[1] كبدرٍ زاهرِ
لما بدت كقضيب بانٍ مائسٍ تختالُ بين دمالجِ وأساورِ
فبقيتُ من حبي لها في حيرةٍ ذا منطقٍ خرسٍ وعقلٍ طائرِ
متعجَبًا من حسنها وجمالها متفكِّرًا في موضعي كالحائرِ
يا حسنها تنآدُ في خطراتها كالغصن بين غلاغل ومعاجرِ
تُصبي الحليم أخا اللبابة والحجى وتصيد مهجتهُ بطرفٍ فاترِ
وبحاجبينِ مقوَّسين ومعطسٍ كمهنَّدٍ واري المضاربِ باقرِ
وبميسمٍ شبه الأقاح مفلَّجٍ شَنِبٌ و جيدٌ للغزال النافرِ
والصدرُ منها كالسجنجلِ أبلجٌ والناهدانِ منيَّةٌ للناظرِ
حازت معاني الحسن طرًّا كلها كمحمدٍ حاوي الثناءَ الوافرِ
باني العلا من كلِّ مجدٍ شامخٍ ومحامدٍ ومكارمٍ ومفاخرِ
يُسدي الأيادي نخوةً وتكرُّمًا ما بين بادٍ في الأنامِ وحاضرِ
مَلكٌ أبيٌّ لا يوفِّرُ رأيهُ ندسٌ[2] زكي العقلِ أنظَرُ ناظرِ
ذو النائل الجم الغزير الفائضُ الـ ـمتتابعُ المثعنجرِ[3] المتواترِ
ملِكٌ جوادٌ ما لهُ من مالهِ شيءٌ سوى الذكرِ الجميلِ السائرِ
ذاك الزريعيُّ الذي إحسانَهُ غَمَرَ الورى من غائبٍ أو حاضرِ
داعي الدعاة أعز من وطئ الحصا تِرْب المعالي ذو الفخارِ الباهرِ
مولاي نَجلُ سبا الذي شاد العُلا وأعزَّ دينَ أبي عليِّ الآمرِ
راضَ بدينِ محمدٍ ووصيَّهُ والماجد السجَّادُ ثم الباقرِ
وموالي المنصور والمستعلي الـمـ ـولى ووالدهُ معًا والظاهرِ
متحنِّفٌ متشيِّعٌ متبصِّرٌ في الدينِ لا واهٍ ولا بالحائرِ

---

[1] الخرعبة: الجارية دقيقة العظام.
[2] الندس: الرجل سريع الفهم.
[3] المثعنجر: السائل من الماء.

حامٍ على الإسلامِ حافظُ أهلهُ | حانٍ عليهم كالهِزَبرِ الخادرِ
يا أيها الملكُ الأجلُّ ومن لهُ | عندي صنائعُ قد صقلنَ خواطرِ
لا تنس من أضحى بحبلكَ واثقًا | وبحبلِ شيخكَ ذي الفخارِ الباهرِ
واذكر مقالك يا ابن أكرمَ يعربٍ | واعضُدهُ بالتحقيق منكَ وبادرِ
فلأنتَ أوفى من تفوَّه قائلًا | وكذاك تلقى القن أشكر شاكرِ
واسلم ودُم في نعمةٍ وسعادةٍ | مالاح برقٌ في سحابٍ ماطرِ
ومهابةٍ وعلوُّ جدٍّ صاعدٍ | وترى عدوك في الهوان الخاسرِ

٢٠- عبدالله بن داعر بن القبيب

وهو السلطان عبدالله بن داعر بن القبيب اليامي من أسرة آل القبيب التي سبق ذكرها، لم تذكر المصادر أي ترجمة مفصَّلة له، ولكن ذُكر بلقب السلطان، ولاشك أنه كان ذو وجاهة في قومه، فهو ينتسب إلى أسرة ملكيَّة كما ذكرنا، له قصيدة واحدة فقط في مدح الملك الزريعي محمد بن سبأ الزريعي اليامي، وقيل أنها قيلت على لسانه، فيقول: (الطويل)

عفا الرَّبعُ عن هندٍ وعن أمِّ معبدِ ... فمُت أسفًا في إثرهم وتجلَّدِ

وأصبح مأوى للاراقمِ والظِّبا ... بُعيْد غزالٍ فاترُ الطرفِ أغيدِ

وبُعدَ أناةٍ يُخجلُ البدر وجهها ... تراها بثوبِ الحُسن تزهو وترتدي

لقد تيَّمت قلبي بعينيْ غزالةً ... وشعرٌ أحمٌّ فاحمُ اللونِ أجعدِ

جرى دمعها لمَّا طلبتُ وداعها ... على خدِّها كاللؤلؤ المتبدِّدِ

ومَدَّت لتوديعي بنانًا كأنَّها ... أنابيبُ دُرٍّ قُمِّعَت بزبرجدِ

فيا ليلةَ قد بِتُّ ألثُمُ بَدرهَا ... وأرشِفُهُ عودي لصبٍّ مُسهَّدِ

ويا راكبًا خرقًا أمونًا شملَّةً ... عذافرةٌ وجناءُ مثل الخُفيْدَدِ

أنِخْها لدى الداعي المعظّمِ ذي ... صفيُّ أميرِ المؤمنينَ مُحمَّدِ

سليلُ سبا بحرُ العطايا التي غدت ... معاليهُ تعلو فوقَ نسرٍ وفرقدِ

حميدُ المساعي مُسفرُ الوجهِ ضاحكٌ ... يجودُ بما يحوي لعافٍ ومجتدي

إذا زارهُ العافونَ ألفوا مهذَّبًا ... إلى الجودِ يهتزُّ اهتزازَ المُهنَّدِ

أناملُهُ تحكي السحابَ بسحِّها ... ولكن عطاها من لُجينٍ وعسجدِ

فيا طالبًا شأو المليكِ محمدٍ ... رويدًا فقد بذَّ المكارمَ عن يدِ

أما هو يزري في العطايا بحاتمٍ   فإن صافحت كفَّاكَ كفَّيهِ فاسعدِ

ودع منْكَ مالا يُستطاعُ مرامَهُ   فما كل رامٍ سهمَهُ بمسدَّدِ

ولا كلُّ بانٍ في العُلا مثل هادمٍ   ولا هادم أركان العُلا بمشيِّدِ

وفي قسطل الهيجاء يروي سنانَهُ   على هيكلٍ ضخم الدسيعةِ أجردِ

يخوضُ لظاها ثم يجلو غمارها   ويقتلُ فيها كلُّ أغلبَ أصيدِ

لقد سُسْتَ يا داعي الأئمةِ ذي الورى   بعِلمٍ وتدبيرٍ ورأيٍ مؤيدِ

تقيَّلتَ من أبنا أبيك مكارماً   جمعتَ لها ما كان من متبدّدِ

تعوَّدتَ بذل الجودِ والبأسِ والندى   فما لك من هذا الورى من مفنّدِ

فكل امرءٍ يا أشرف الناس كلُّهُم   بمثل أياديك الشريفة يقتدي

لك اللهُ من مَللِكٍ حوى رُتَبَ العلا   ببأسٍ وتمييزٍ وبذلٍ وسؤددِ

وحوليك من أبنا أبيكَ عصابةً   حماةُ مساعيرٍ بدورٍ لذي الندي

كبحرِ العطا اسماعيلَ أعلى بني الدنا   محلًّا وأزكاهُم وخَيْر مُسَوَّدِ

وأكرم بذي العليا مُفْضِلَ من غدت   فضائله يثني بها كل منشدِ

وأبنا زريعٍ كلهم ليَ عدةٌ   أبوح بما أولَوهُ في كلِّ مشهدِ

إذا غابَ منهم واحدٌ قام واحدٌ   فكلٌّ إلى بحبوحةِ المجدِ ينتدي

ولم أنس شيخ الدولة القرم ذي الحجى   بلال المحامي باللسانِ وباليدِ

لقد ساس أمرَ الملكِ كل سياسةٍ   بعزم وتدبير ورأي مسدَّدِ

فما كبلالٌ كان فيمن مضى ولا   يكونُ على مرِّ الزمان المجدَّدِ

فيا راكباً بلغ ذرا يام إنني   لدى ابن زريع في نعيمٍ مؤبَّدِ

حباني وأولاني وجاد ولم تزل   مكارمهُ تسري إلي وتَعْتَدِي

سأثني عليه الدهر ما عشت سالماً   وإن مت ثُنَّت أعظمي وَسْطَ مَلْحَدِي

فكم مِنَّةً أوليتني وصنيعةً   ومكرُمَةً تُتْرَى ملأتَ بها يدي

فلا زلتَ غوثاً للأنامِ جميعُهُم   ولا زلتَ كهفاً للطريد المشرَّدِ

فحاطك يا رَبِّ السماحة ربّنا   وهنَّاكَ ما أعطاك في اليوم والغدِ

وهُنِّئتَ عيدَ النحر يا تاج يعربٍ وعِش سالماً تعلو على كل معتدي
ودمت مدى الأيامِ ما عسعسَ الدُّجا وما سجعت ورقاء في غصنها الندي
وهاك من القنّ ابن داعرَ مدحةً تغنَّى بها الركبان في كل فدفدِ

٢١ - أحمد بن محمد بن مرزوق

هو المقرئ أحمد بن محمد بن مرزوق، لم ترد له ترجمة مفصَّلة ولا نسبةً صريحة ولكن يبدو أنه ينتسب إلى قبيلة يام لما يكثر عليهم من الثناء، كان غزير الشعر شهيرًا بالهجاء، وممن مدح الملك الزريعي فأحسن، ومن شعره في آل الزريع: (الكامل)

داعيكُمُ في المكرماتِ يُجابُ ... وإليكُمُ القفرُ القِواءُ تُجابُ
أنتُم لكلِّ فضيلةٍ وصنعيةٍ ... رُبَّت بأعنَاقِ الورى أربابُ
ماطولَ نائلُكُم مقالٌ يُتَّقى ... أبدًا ولا دونَ الوجوهِ حِجَابُ
آل الزريعَ زرعتُمُ العزَّ الذي ... جادَتْهُ مِنْكُم للسماح سَحَابُ
لسنا نُبالي بعدَ طيبِ أصولِكُم ... وفروعَكُم خَبُثَ الورَى أم طابوا

وقال أيضًا في آل الزريع: (الطويل)

دع العيسَ تطوي البيدَ بالوخدِ والسُّرَى ... لِتُبلِغَنَا سَوْحَ المكارِمِ والسَّرى
فلا لُبَّ للثاوي ألَبُّ إقامةً ... ولا عقْلَ في عَقْلِ المطايا عن السِّرى
ولا لُمقيمٍ خاملُ الذِّكرِ همَّةٌ ... إذا لم يَزُر تاجَ المُلوكِ لِيُذْكَرَا
ولا نخوةٌ في نائمٍ طولَ ليلِهِ ... إذا لم يَكُن في قَصدِهِ هَجْرَ الكرى
يَبِيتُ يُساقِي الركبَ من خمرِ مدحِهِ ... شوارِدُ شُكرٍ يحتسيها فَيَسْكَرَا
فَيُصبِحُ في ظلِّ المُكَرَّمِ مُكْرَمًا ... يُعرِّفُ منهُ عرفَهُ ما تنَكَّرا
فمن لم يُعرِّف نفسَهُ في ظلالِهِ ... فلا غِرْوَ أن يُضحِي ويُمسي مُنكَّرا
لهُ سُوَرٌ في المجدِ يَعجَزُ آيَها ... ملوكُ الورى يحظَى بهِ من تفكَّرا

تلاها لسانُ المدح من كُلِّ مادحِ ... وأدلجَ منها الصبَّ سيرًا وبَكَّرا

فليسَ شُجاعًا كلُّ من لا يلوذَ بالـ ... ركائبِ من جيشِ الحنادسِ عسكرا

يناوي الثُريَّا رفعةً في محلِّها ... بِقصدِ مليكٍ خيرَ من وطئَ الثرى

ليثرى من العلياءِ من واهبِ العُلا ... ويدركَ مجدًا لا لأن يُدرِكَ الثرا

ولا يؤثرُ الدنيا طِلابًا فبذلُها ... غدا عندَ داعي الدينِ بالجودِ مؤثَرَا

وياقاصدًا يامًا لمالٍ وقد غدا ... بأعيُنِهم مايجتنونَ مُحقَّرا

وهل يامٌ إلَّا اليمَّ[1] إن كُنتَ حاذقًا ... وما كانَ جارُ اليمِّ يومًا ليفقرا

فذَا الكَرَمُ الماضي هوَ الكرمُ الذي ... تراهُ أتانا في بنيهِ مُفسَّرا

وآلُ الزريعِ زرعَهُ المُثمِرُ العَلَا ... فأكرِمْ بزرعٍ في المكارمِ أثمرا

بَنُو كلُّ ذي سيفٍ يضاهيهِ شيمةٌ ... إذا ماقرى في الحربِ والسلمِ أوفرا

فقابِل بهم في الجدبِ[2] جنَّةَ بابلٍ ... وقاتِل بهم في الحربِ جِنَّةَ[3] عبقرا[4]

هُمُ قِدَمًا قد صيَّروا المجدَ للعُلا ... طريقًا فأضحوا خادعينَ لهُ الورى

ولو كانَ مجدًا أو طريقًا لرفعةٍ ... قصدنا لهُ من قبلهم أرض خيبرا

هنيئًا لعيسٍ فارقتهُم سوالمًا ... إلى ملكٍ جاءَتهُ تنفِرُ في البرى

هُم صابروا عمران بأسًا ونجدةً ... فملُّوا وحادوا عنهُ إذ كان أصبرا

كذلك عودُ النبع في العجمِ أوكَحٌ ... ويأبى لباغي الكسرِ أن يتكسّرا

فشاهد بداعي الدين أربعة معاً ... بديع السماوات اصطفاهم وطهَّرا

سليمانَ ملكاً وابن مريمَ عفَّةً ... ويحيى علوماً وابن يعقوب منظرا

وإلا فمن في الناس كابن محمدٍ ... له ربَّنا للفلك والريح سَخَّرا

تباهي به قحطانُ في كل موقفٍ ... نزاراً ومُلك التبعين وحِمْيَرا

مليكٌ حوى في جِبلَةِ المجدَ والعلا ... فخلَّف سبقاً كل من خَلْفه جَرَى

وَرَى زَنْدَهُ في كل سبق وسؤددٍ ... فصير أملاك الورى كلها ورا

---

[1] اليم: البحر

[2] الجدب: القحط والجفاف

[3] الجِنة بكسر الجيم: الجن

[4] عبقر وادي في اليمن، يُعرف بأنه مسكن للجن وفي ذلك قصص كثيرة وأساطير.

إليك القوافي ياسر ملك رقها ... ومالكها جائتك للخوف نُفَّرا
ثَوَتْ بين قوم قد أهانوا وفودها ... وباتت بهم من بقعة القاع أحقرا
قرت فقرَت آذانهم حُسنَ نظمها ... فكانت لهم وَقْراً فلم ترزق القِرَى
ثوت عرضاً فيهم نباتُ عروضها ... ولكنها لم ترضَ عرضاً موفّرا
إليك نصيرَ الدين جاءت بربّها ... لواغبُ من قطع الفيافي وحُسَّرا
شرى عدنيًّا برقها فَمَلَتْ له الـ ... حصيبَ وأمَّت حيثُ بارقها شرى
وسارت فراراً من كسادٍ يسوقها ... إلى سوق شاري الحمدِ من كل من شرى
يغالي بها والجوهريُّ تَشُوقُه الـ ... مغالاةُ في سومٍ إذا ابتاع جوهرا
وقد صادفت حمداً بعلياه حالياً ... وكفؤاً إذا افتض العواتقَ أمهرا
فصلِّ عليه يا قريضي بها ودع ... صلاةً على من قد طغى وتجبرا
فلا فاطميٌّ في سوى نسل حيدر ... أو المقتفي بالدين والقولِ حيدرا
فلا زال مولانا المكرَّمُ ناكحاً ... كرائمها ما لاح صبح وأسفرا

وقال أيضًا يمدح الملك عمران بن سبأ الزريعي: (الكامل)

ذكَرَت سراها للأمينِ ركابي ... والزندُ منّي في المطالبِ كابي
من بعدِ أن غارت لتقصدَ غيرهُ ... فأتتْ مواردَ غير ذاتِ شرابِ
فإذا العطاشُ تيمَّمتها للصدى ... ظفر الصدى منها بلمع سرابِ
مستظهرًا حدثَ الزمانِ لقصدها ... من جورِ أيّامٍ وغدرُ صِحابِ
نزلت على قومٍ فزِيدَت عندهم ... لزبًا وردَّت من حيال البابِ
نَزَلت زبيدًا عنوةً ورحابها ... لكنَّها للجودِ غيرُ رحابِ
حملت كذاباً من مديحي نحوها ... وكذاكَ قد راحت بقولِ كذابِ
أقسمتُ بالعربِ الذين نموكَ يا ... تاجَ الملوكِ على متونِ غرابِ
ما كان ذاك القصد مني عن رضا ... لكنَّ أقدارًا أتت بعجابِ

ولو أنَّها قصدت سليلَ محمدٍ حمدت لديه مغبَّة الأوصابِ
يا عيسُ فاصطبري فلي أملٌ إلى عمرانَ مذ عهد التصابي صابي
فتجاوزي التعذيب في قطع الفلا لمناهلٍ في راحتيهِ عذابِ
هل للمكرّم من كريمٍ يرتجى لدفاع خطبٍ أو لفصلِ خطابِ
الفاطميُّ بدعوةٍ علويَّةٍ قد نُزِّهَت عن سقرةِ الألقابِ
والمكتفي عن نسبةٍ مكذوبةٍ بفعالهِ وبأشرفِ الأنسابِ
مِلكٌ إذا برَقَت أسرَّةَ وجههِ مطرُ الندى من كفِّه بسحابِ
وإذا احتبى للوفدِ في يوم الحبى فانظر هناكَ إلى حبيَ الحابي
وإذا الملوك لما تُجمِّعُ حسَبت من شحّها أعطى بغير حسابِ
يا ويح قحطانٌ أتتركُ مُلكَها فردًا لقد جاءت بغيرِ صوابِ
فتقومُ لا قامت وإن غضبت معًا للدينِ أو للمجدِ والأحسابِ
واستجمعت من بعد ذاكَ بحربِ من عادت فقد نكصت على الأعقابِ
ما غاب عنهم يوم ذاك وإنما ليثٌ يرى فعلَ الشياهِ بغابِ
لو كانَ ذاكَ الجمعُ تحتَ لوائهِ سلُّوا سيوفَ العزمِ غيرُ نوابي
وبنوا على ما شيدت آباؤهم بيتًا رفيعًا ثابتُ الأطنابِ
واستمطروا من جودهِ مايُخجِلُ الـ أنواء من أيدٍ هناكَ رغابِ
لكنهم نصبوا العقابَ لغيرهِ يوم الوغى فأتت له بعقابِ
يا برد ذاك على فؤادِ وليّهِ وأنا الوليُّ وهازمُ الأحزابِ
لو خنتُهُ لن أنجُ من قومٍ أتى شعري إليهم ثابتًا بكتابي
فيهِ مدائحُ للأمين وهجرهم فجنوْا عليَّ بذاكَ غيرُ غضابِ
صُنعًا من الله الكريم لأنني ما خُنتُه في مقصدي وذهابي
فغدا لمولانا النصيرُ معايشٌ منعوا الندى بمغالقِ الأبوابِ
ينهونَ عن عرض الدنا وحطامها وهُمُ له من أطلبِ الطلّابِ
ويشوُّقون إلى الثوابِ وفودَهُم ليروحَ مادحهم إلى بغيرِ ثوابِ

بَرَقت مخايلهم فحين استمطرت ... كانت لشائمها بروقَ خِلابِ
ماتت ركابي موتَ آمالي بهم ... هزلًا وعدتُ مُقطَّعُ الأسبابِ
ولقد عجبتُ لصرفِ دهرٍ ساقني ... كُرها لمدح زعانفِ أوشابِ
ومن المقادرِ مايجيءُ بغيرِ ما ... قاسَتْهُ في الدُّنيا أولو الألبابِ
فهل المكرَّمُ قابٌ ليَ توبةٌ ... للمجدِ بل للواحدِ الوهَّابِ

وقال أيضًا يمدحه: (الكامل)

بَهَرت مساعيكَ الملوكَ الصيدا ... وعلَوْتَ جدًّا عنهمُ وجدودا
أوجَدتنا بوجودِهِم عدمًا كما ... أوجدتنا معدومهم معدوما
أعليتَ بالسُّمر الصعادِ مراتبًا ... يعنى بهنَّ المرتقونَ صعودا
فإذا تصاعر خدُّ ملكٍ نَحْوَهَا ... تيها تصاعد نازلاً أخدودا
يا أيها الملكُ الذي ملأ الفضا ... جُنْداً كما ملأ البسيطة جودا
والسهل شُعْثًا والوعور صوارماً ... والجو نقعاً ثائراً وبنودا
جيشٌ كأنَّ جيادهُ ريحُ الصَّبَا ... حملت بِغابٍ من فناكَ أسودا
فكأنه ليلُ الدجا ووشيجهُ ... شمعٌ يشُبُّ من النصولِ وقودا
متزاحماً بالدارعين كأنَّهُ ... منكَ العراص إذا ازدحمن وفودا
قد بار من ناواك في سَبْق العلا ... وسعى فقُهقِرَ حيثُ رام بعيدا
فُقتَ الملوك مراتباً ومناقباً ... ومواهباً ومواكباً وعديدا
غاروا فغاروا بالفعالِ ولم تزل ... ترقى من الشرف الرفيع نجودا
وجدوا الطريق وإنما هادوا السرى ... فسرى وباتوا عن سراه هجودا
فإذا الملوك تجمعت في مَجْمَع ... جَم يؤلِّفُ سائدًا ومسودا
وغدت وقائلها يقول من الذي ... في المشكلات تقلدت تقليدا
أَوْمَتْ إليه مسبِّحاتُ بنانها ... وغدا بخنصر عدها معدودا
فأجلهم قدراً إذا افتخروا معاً ... من كان منه بِقُرْبه مَحْسُودا
وأزالهم من ظل يطلب شأوه الـ ... أقصى ويزعم أن يكون عنيدا

جَهْلاً كمن رام النجوم بكفّه | لَمْساً ومن ظَنّ النضار حَدِيدا
لو رمتَهُم كانت معاقلهم لهم | عقلاً لنقرسهم بها وقيودا
حاشا لمثلك أن يرى لك ثانياً | يُؤوي الطريدَ وينجدُ المنجودا
ليُطِع بنو هودٍ لحربِ عدوّها | من بالمساعي البيض أحيا هودا
وأبضَّ همدانَ الأُلى قد نصهم | في الذكر رَبِّ محمدٍ تَمْجِيدا
المؤثرون على النفوس وإن غدت | بهم الخصاصةُ حيث كانوا جودا
والناصرون وصيَّ أحمد بعدهُ | لما غدا فيما يرومُ وحيدا
والمذهبون الاحتقاد تكرَّما | والمانعونَ مجاوراً وطريدا
يا غُلبَ يام يمِّمِي ابن محمدٍ | تبقى فعالكَ ما بقيتَ حميدا
فلتحملنَّ مع الكواكب رفعة | مهما حملت لواءه المعقودا
فتقربي بالمقربات إلى امرئ | يبغي لمجدكِ في العلو مزيدا
من كل أدهم كالظلام مقدَّماً | في الوَخْدِ من فلق الصباح عمودا
وأقبُّ أشقر كالعقابِ وأحمرٍ | كالصقرِ يحكى في الهياج السيدا
ومجمجم الارساغ أبيضُ إن جرى | شبهته نجماً يزيدُ مزيدا
يا أيها الملك الذي أحيا الندى | وأعاد بالي المكرمات جديدا
ما عذرُ من أضحى بجودك واجدا | ألَّا يرى بالمدح فيك زهيدا
لو كان أدركها جرير سائلاً | ما كان سَلَّ محلياً وعنيدا
يا صاحبيَّ دَعَا الزيادة للندى | ورِدَا إليه المنهلُ الموردا
وارعي القلاص من الوخيد فإنها | أُمِنَتْ به من أن تجوب البيدا
ثم اشكراها شكرُ معترفٍ بما | أولت فقد بلغتما المقصودا
وَدَعَا زُبَيدًا أو نزور الأوحدُ الـ | ملكُ المكرَّمُ بالجيادِ زبيدا
ملكٌ ترى الأملاك فوق بساطه | رغباً وخوفاً ركعاً وسجودا
ويعفر الهامات منها سيفه | ما لم تعفر بالترابِ خُدودا
خضنا بحارَ الشعر فيهِ فلم نجد | مدًّا يُضاهي مدَّهُ الممدودا

٢٢ - عمران بن أحمد اليامي

وهو القاضي الأجل عمران بن أحمد بن محمد[١] بن عمرو بن منيع[٢] اليامي، تولى قضاء ذي أشرق في عزلة نخلان بسفح جبل التعكر، من شعراء اليمن الفضلاء المكثرين المُجيدين[٣]، وردت له قصيدتان فقط، يمدح بها الملك محمد بن سبأ الزريعي.

شعره:

(الطويل)

أراياتُ عزٍّ خافقاتٌ بنودُها ... وآياتُ صدقٍ طالعاتٌ سُعُودُها
أفاد سرور المؤمنين وفودها ... وأوردَ كُتبُ الكافرين ورودها
لقد قرَّ عينًا من أقر بقصدها ... وباء بِخُسرانٍ مبينٍ جَحُودها
وأصبح من آل الشكورِ شكورها ... ومن حزب أصحاب الكنود كنودها
أرى الدعوة الغرَّاءَ اشتدَّ أسرها ... وأودى مساميها وهان عنيدها
بإنعام مولانا وسيدنا الإما ... مُ عبد المجيدِ الطهر اِخضرَّ عودها
ويدت مبانيها وفاز ورودها ... وذل مناويها وعُزَّ جنودها
وأوضح نهج الحق بعد طموسه ... وأرشد ضُلَّالُ الأنام رشيدها
فيا راكبا عيرانةً شدقميةً ... كثيرٌ تراميها حثيثٌ وخيدها
تحمل تحياتًا عِذابًا كأنما ... تحمَّل كافورًا ومسكًا بريدها

---

[١] محمد، في (الأيوبيون في اليمن، عبدالله المخلافي)، ص٢٢٢ وفي كتاب المفيد في تاريخ صنعاء وزبيد سقط اسم محمد، فأورد عمارة نسبه هكذا: عمران بن أحمد بن عمرو اليامي.
[٢] بهجة الزمن، ص١٠٠.
[٣] عمارة، ص٢٠٥.

تشاكل أنوار الرياض أضاءها ... بواكر طَلٍّ غب دجنٌ يجودها
وخصَّ بها الداعي المكين الذي لهُ ... مفاخر فوق الفرقَدَيْنِ مشيدها
أخا همَّةٍ ردت دجى الليلَ واضحًا ... ونشَّر مطويَّ المكارم جودها
زريعيةً ميمونة الجدِّ ترتجي ... وعودَ أياديها وتخشى وعيدها
نشا مستفيدًا للعلا غير جاهدٍ ... وكم جاهدٍ فيها ولا يستفيدها
إذا ابتدأ المعروفُ عفوًا أعادهُ ... وربَّ منيّلِ نعمةٍ لا يعيدها
وينهلُ أطراف القنا ويعلُّها ... ويهدي سرايا خيلهُ ويقودها
أداعي مولانا وصاحب عصرنا ... لتهنك نغمًا ليس يبلى جديدها
ويهن بني يامِ بن أَصبَى بنُ حاشدٍ ... بأنك باني فخرها ووحيدُها
وإن أصبحوا أرباب دعوةِ أحمد ... وقبلك هم أنصارها وعبيدها
بيُمنِكَ نالوها فمنهم دعاتها ... إلى جنة المأوى ومنهم حدودها
ودمت عليَّ الذكرِ في خفض عيشةٍ ... لنعمى توليها وعَليها تشيدها
ولا انقطعت في كل عام سفارةً ... بتجديد أفراحِ جزيلًا مزيدها
وهنئت عيد النحر والعشر ناعماً ... وهُنِّئَتِ الأيامُ أنكَ عيدُها
أشارت بكَفِّ المستفيد تهامةً ... وأومت بطرف المستجير زبيدها
متى شئتَ وافت من أزالَ وأهلها ... قبائل لا يُحصى بعدٍّ عديدُها
ألا إنَّ منها واحدًا لقبيلةٍ ... يُهصِّرُ من أبطالها ويذودها
تجولُ بِهِم جُردٌ طِوالٌ شوامخٌ ... عِتَاقٌ مُنيفاتُ السوالفِ قودها
قُصارى سواسيها ظماءُ فصوصها ... طوالٌ هواديها عِراضٌ خدودها
رحابٌ نواجِرُها صِلَابٌ نسورها ... قِصارٌ ظواهرها عِراضٌ لبودها
تخيَّلها بين الرماح كأنَّها ... عفاريتُ آجامٍ عليها أُسودُها
بدورُ دجىً في الرَّوْع لولا شعارها ... وأُسدُ العرينِ الغُلبُ لولا حديدها

وقال أيضًا يمدحهُ: (المتقارب)

قف العيس في طُلَلِ المعهدِ وقل للظعائنِ لا تبعُدِ
وأورد غروبَ دموعِ الجفو ن منكَ على ذلك الموردِ
وسلِّ معالمَ تلكَ الطلول عسى أن يجيبَ صداها النديّ
فقد سأل الرسمُ قبلي لبيد ولكنْ أرمَّ فلم يرْدِدِ
وكيف يجيبك رسمٌ خلت نواديهِ من سُكنهِ والندي
وأقوتْ مغانيهِ بعد الأنيس فأضحت كمرقوشِ وسم اليدِ
وكانت مغانيهُ معمورةٌ بكلِّ هضيمِ الحشا أغيدِ
خرائدُ تمتاسُ ميس الغصون على كَثَبٍ من نقى نُهَّدِ
جلت أوجهًا كبدورِ التمام من تحتِ مُحْلَوْلَكٍ أسوَدِ
ومجمجنَ عضرس تلكَ الثغور ضحًى برطيبِ الأراكِ الندي
وأعرضنَ يسحبنَ ريط المروط معًا كظباءِ الفلا الشُّرَّدِ
رددنا عليهنَّ رَجْع السلام لفتحِ الكلامِ فلم ترددِ
أصاحُ أعنِّي على ما تراهُ بي من غراميَ أو فابعُدِ
أترقُدُ عيناك من لوعتي وعينِي مِنَ الوجد لم ترقدِ
أما لو رَمَتك مِراضُ الجفون وأصمَتكَ طعنًا رماحُ الثدي
لأصبحت مثلي قليلَ الرقاد كثيرُ البكاءِ على المعهدِ
أراكبُ عيسٍ كهقلِ النعام مولدةٍ أُجُــدِ جلعدِ
مساندةُ الخلقِ موردةُ الـ ـيدينِ معقَّدةُ المحقدِ
تجوبُ بها كل عادي القرى أمقٌ خفيُّ ا لصوى صرددِ
لها أَرَنٌ بعد طولِ الوحيف كمعمعة اليَرَعِ الموقدِ
إذا أنتَ قابلتَ داعي الإمام سليلُ سبا ذي العُلا فاسعدِ
وأطلق لعيسك ثني الزمام وقل: بارك الله فيكِ ارشدي

وبلّغ سلاميَ تاجَ الملو ك ذا المجدِ والجودِ والسؤددِ

صفيَّ الإمام ومختصُّهُ وصارِمُهُ العَلَمُ المهتدي

حليفُ السماحِ وخدنُ الكفاح وزينُ الكواكبِ والمشهدِ

جمالُ الممالكِ فخرُ الملو ك يوم التفاخرِ بحرٌ ندي

علا المجد حتى علا سمكَهُ على قمة النسرِ والفرقدِ

وشيَّد ماسنَّهُ في القديم تهمّى إذا زارهُ المجتدي

أبرُّ البريَّةِ من مغورٍ وأزكى الخليقةِ من منجدِ

شريفُ النّجارِ رفيعُ الذّمار جليلُ الأُرُومةِ والمحتدِ

حميدُ السجايا إذا زرتهُ كريمُ الخلائقِ والمولدِ

متوَّج قحطان نبراسها يقينًا وأشرفها عن يدِ

أيا من تلألأ أنوارهُ إلى جودهِ يهتدي المهتدي

ومن بِسَنَا هَدْيِهِ المستنير نحو الهدى يقتدي المقتدي

ملكتَ قيادَ ولائي الأكيد فقُد بزمام الولا مقوَدي

لقد سرَّنا مابهِ قد كَبَت قلوبُ المناوينَ والحُسَّدِ

فقل للذي يبتغي أن يكيد أبْرِق بكيدكَ أو فارعدِ

أتعدو هجارسَ بيد الفلا على الأسدِ الأضبطِ الأربدِ

ألا فلتهنَّ بهدي المسار على يَمنِ طائرُكَ الأسعدِ

ودُم وابقَ وانهَ وشِد واستطِل وصُل وازوِ واغنم وسُد واسعدِ

وعِش سالمًا في ذرا نعمةٍ ومُلكٍ إلى آخر المُسنَدِ

٢٣-محمد بن عمران بن أحمد اليامي

وهو القاضي محمد بن عمران بن أحمد بن عمرو بن منيع اليامي، ابن القاضي عمران بن أحمد سالف الذكر، من شعراء اليمن المُجيدين، من شعره: (الطويل)

بشارةُ خيرٍ بعد طولِ انتظارها ... أتتنا على نأيٍ وبعدِ مكانِ
تسيرُ بها الأفلاكُ شرقًا ومغربًا ... فوافت على مكثٍ وطولِ زمانِ
قميصُ ابن يعقوب الحفيظُ وريحهُ ... على رغمِ ذا التفنيدِ والشنآنِ
جواهرُ ألفاظٍ ومنطق حكمةٍ ... وتلويحُ أغراضٍ ولُطفُ بيانِ
كأن به نوّار كلُّ حديقة ... بتبعيةٍ وكافَّةِ الهطلانِ
تصفحتُ في أثنائه وفضولهِ ... تباشيرُ فجرٍ طالعُ اللمعانِ
تجلَّت عماياتٌ وزالت دجنَّة ... وأسفر صبحُ الحقِّ يومَ أتاني
بسعدِ أمير المؤمنين ويُمنهِ ... ومن ودُّهُ أمنٌ من الحدثانِ
ورجوايَ في عبدالمجيدِ عظيمةٌ ... وعروتهُ الوثقى تفي ببياني
إمامٌ لهُ صفوُ الولاء ومحضهُ ... وتفضيلُهُ في خاطري ولساني
أواليهِ في سرِّي وجهري وخاطري ... ضميري على تقديمهِ وجناني
بقيَّةَ آل المصطفى والألى همُ ... وفرقانهُ من بعدهِ الثقلانِ
بناحلةٍ بنتُ الرسولِ وحيدرٍ ... وجعفرُ والسجادُ والحسنانِ
وكل وليِّ للأئمةِ راجعٌ ... إليه بعيدُ الخوضِ والجدلانِ
رجوع النجوم الدائرات لشمسها ... وإن بعدت عنهنَّ بالدورانِ
وما إن خَلَت للهِ في الأرضِ حجةٌ ... ولا عدمت شمسٌ بكلِّ مكانِ

وقال أيضًا: (الطويل)

سلامٌ على عبدِ المجيدِ مُكرَّرٌ ومن مبلغٌ عبد المجيدِ سلامي

وإني على نأي الديار وشطِّها موالٍ لهُ في يقظتي ومنامي

إمام جدودي جدّهُ وابنُ عمِّهِ إمامُ شيوخي وهو بعدُ إمامي

يقصِّرُ شاو الشكر عن شكر مدحهِ ولو فزتُ من أقسامهِ بسهامِ

فيا طالبًا إدراك بعضَ مديحهِ رويدكَ ما استيعابهُ بكلامي

بأي لسانٍ تستتمُ مديحهُ وفي أي نثرٍ أو بأيِّ نظامِ

وأعراقهُ نحوَ النبيّ وحيدرٍ وشجنَ فل يقصرن دون تمامِ

ووالدهُ المستنصر الطهر فرعها وآباؤهُ أكرم بنجلِ كرامِ

الخاتمة

كان هذا القدر من الشعراء هو ما استطعت جمعه من العصر الجاهلي حتى انقطاع أخبار السلاطين من قبائل يام في اليمن، وخروجهم منها شمالًا، وسيتم بإذن الله نشر الجزء الثاني من هذا الكتاب، وسيكون قسمًا واحدًا خاصًّا بالشعراء المعاصرين، شعراء الشعر النبطي من سنة ١٠٠٠هـ حتى قيام الدولة السعودية الثالثة.

وفي الختام أحمد الله الذي يسّر لي أمري وأسأله أن يكونَ عملًا مسددًّا خالصًا لوجهه وأن يكون مفيدًا لمن وقع بين يديه واستطلعه ومرجعًا للباحثين في الشعر العربي والإرث الأدبي.

الفهرس

القسم الأول

القسم الثاني

جمع وسرد أدبي تاريخي، لحركة الشعر في قبيلة يام الهمدانية عبر العصور .. من الجاهلية إلى العهد السعودي

2024-1445